هوشا

SICKNESS

سقم

محمد الناصر

رواية سقم

محمد الناصر

قبل الدخول للحكاية...

نصيحة:

احذر... لا تراهن على وفاء أحد...

فإن الخيانة لا تأتي من عدو.

ثِق تمامًا...

بأن هناك شيطانا يبتسم...

خلف كل قناع...

يدَّعي الجهل والبراءة.

أوَّله السقم...

وأوسطه النَّدم

وآخره العدم...

المقدمة:

تعرفونني جيدًا... فأنا أكره المقدمات...
دعوني أُدخلكم في صلب الموضوع.

مرحبًا بكم يا أصدقائي، ها أنا أعود إليكم من جديد، على ما أعتقد أن أغلبكم بات لا يتذكرني بسبب انقطاعي عنكم وغيابي الطويل؛ ذلك لكثرة مشاغل الحياة التي تستنفد طاقة المرء وتجعله لا يفكر سوى بالابتعاد عن الصخب بحثًا عن الراحة.

اسمحوا لي بأن أذكركم بنفسي، باختصار شديد أنا صاحب حساب خاص في برنامج (الإنستغرام) تحت مسمى (فضفضة غريبة)، مخصص فقط للحكايات والقصص الغريبة والخارجة عن المألوف، تُرسَل لي عن طريق أصاحبها الذين يروونها لي؛ قصصًا أقرب إلى الخيال ولا يُصدقها عقل عاقل، لكن أصحابها يؤكدون حقيقتها، وما مروا به من صراعات مع الرعب واللا منطق.

من الممكن أن يكون معظمها من وحي خيالاتهم، لكن هناك حكايات أذهلتني وقررت مشاركتها معكم من خلال إصدارين صدرا لي سابقًا؛ الأول كان يحمل عنوان (غيبوبة) تعرفنا به على صديقتنا المسكينة البائسة داليا وزوجها صقر الذي تبدَّل حاله بعد حادث ألمَّ به، وما جرى لهما بعد ذلك من أحداث قلبت موازين عالمهما رأسًا على عقب، والكثير من متابعي حسابي تواصلوا عي المعرفة تفاصيل أكثر عن

تلك الواقعة، مبررين هذا بأنهم أبلوا أُناسًا حصل معهم ما وقع على داليا وزوجها، أو لمجرد سبِّي وقذفي بسبب نشري لهذه الرواية، نعتوني ووصفوني بالكاذب المحتال معللين نشري لتلك القصة بأنها فقط من أجل التكسب المادي من وراء إصداري لذاك الكتاب، لكنني وبطبيعة الحال لم ألتفت لهم؛ بل على العكس كنت عازمًا على إنتاج كتابي الثاني بعنوان (دهاليز)؛ وهو عبارة عن مجموعة قصصية، انتقيتها بعناية شديدة؛ نظرًا لغرابتها المفعمة بالغموض وأطياف الرعب، وكما هو الحال بين مدح وقدح، فإرضاء الناس غاية لا تُدرك، ومع ذلك فأنا مستمر بما أقدمه لمتابِعيَّ الأعزاء، وها أنا بصدد أن أروي لكم حكاية جديدة بلسان صاحبتها سلمى؛ قصة وقعت في فترة الثمانينيات سيُميزها أبناء الجيل الذهبي كما يقال عنهم، لا أريد الإطالة عليكم.... دعوني أبدأ بالرواية على أمل أن يحوز هذا العمل على إعجابكم.

آه... نسيتُ أن أنوه لكم قبل كل شيء، بأنني أُفضِّل عدم البوح باسمي، وسأتبع أسلوبي السابق المعروف لدى متابِعيَّ، واستخدام لقب صديقي أو أخي بدلًا عن اسمي الحقيقي.

1

لم تكن ليلتي هذه كباقي الليال الماضية، كأن فيلًا ضخمًا يربض على صدري، والهواجس تنهشني ككلاب ابن آوى وهي تفترس ضحيتها، امرأة لم تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها على موعد الزيارة منزل مهجور منذ سنين خلت، وكما أبلغوني أن ضالتي ستكون مدفونة ما بين جدرانه.

أنا على بُعد خطواتٍ من المجهول....

لا أعرف ما الذي سينتظرني هناك؟

هل سيكون الخوف باستقبالي؟ أم أنها مجرد أقاويل شائعة تدور حول هذا المكان المشؤوم.

هل سأخرج من هذا المنزل الذي تُحاك عليه الروايات بأنه مسكون بكامل قواي العقلية؟

أم أن للحكاية بقية لا نعرف كيف ستنتهي؟

أغمضتُ عيني محاولةً النوم كي أكون بكامل جاهزيتي صباح الغد، ومعدلات تركيزي بأعلى مستوياتها فلا مجال للخطأ. الذي من الممكن أن يجعلني ضحية ثانية محددة بجانب أختي التي بسببها الآن أخوض تلك المغامرة المحفوفة بالمخاطر؛ كي أبحثَ عن

علاج يسيطر على وضعها ويعيدها كما كانت في السابق.

لم يسبق لي أن تعاملت مع هذا النوع من الأحجيات، أو غُصت حتى عنقي بذلك الغموض، قبلها كنتُ أعيش بهدوء تام وحياة روتينية ما بين البيت والعمل منزلي كان ملاذي الوحيد وعائلتي هي جميع. ما أملك، هذا كله تغيَّر منذ أن دخلت شقيقتي بدوامة تلك العلة التي أصابتها ولا ندري ما الأسباب وراءها.

أسوأ ما في الأمر أن حياتك الهادئة تتغير، وتشعر أنك قد دخلت بقلب إعصار شديد يلتهم كل ما هو أمامه بلا رحمة، وأنا الآن بوسط هذه العاصفة التى ابتلعتني وتقاذفتي بكل اتجاه.

قبل عدة أسابيع لا أذكر عددها من هذا الموقف، وبالتحديد بعد اتصال متوتر وردني من قِبل والدتي التي أبلغتني أن أختي الصغرى هناء قد سقطت مغمى عليها من دون سابق إنذار، وبلا أية مقدمات واضحة، كنتُ وقتها في عملي بإحدى وزارات الدولة أمارس حياتي الطبيعية، بعد هذا الاتصال شعرتُ أنني مقبلة على أيام سيئة، وقد وضعتُ أول قدم لي داخل هذا الإعصار الذي رحب بي الترحيب كله، وفتح ذراعيه البشعة واحتضنني لأغوص بوسط صدره

المضطرب، ومن هنا تبدأ باكورة تفاصيل تلك الحكاية، والتي -إلى الآن- لا نعرف كيف فتحنا أول صفحاتها، وما الأسباب التي جعلتنا نتمرغ ما بين كلماتها وأحرفها المخيفة.

وصلت للبيت بعد أن طلبت إذن انصراف من العمل، أتذكر جيدًا أنني كنتُ أقود سيارتي بشرود، أسمع صدى والدتي القلق يتردد بذهني، وكلماتها المتوترة التي لم أفهم مغزاها، سوى أنها جعلتني أعيش الشعور بالتوهان عندما قالت:

- هناء ... يا سلمى... هناء أختكِ، سقطت مغمى عليها واللعاب يخرج من طرف فمها.

أجبتها بعدم دراية وقلب يخفق بقوة:

- ما الذي حصل؟ كيف حدث هذا؟

ظلت والدتي تتكلم بارتباك شديد، لم أفهم منها أي شيء، سوى أنها بحالة غير مستقرة فاقت التوقعات كلها، طلبت منها الهدوء، وبعد دقائق سأكون عندها أحاول فهم ما الذي جرى لها، لتقطع هذا التوتر كله وتقول:

- لقد طلبتُ الإسعاف؛ الوضع لا يحتمل التأخير أسرعي بالله عليكِ.

هنا فهمت أن شقيقتي بموقف لا تحسد عليه، وليس أمامي سوى الإسراع بالذهاب إليهم والتماسك حتى أعرف كيف لي التصرف بمثل هذا الموقف الجديد.

وعند وصولي وجدت سيارة الإسعاف قد سبقتني، لم أجد أمامي سوى فتح باب مركبتي والانطلاق لداخل البيت، حتى انني لم أغلق محركها، وفور دخولي رأيتُ المسعفين وهم محاطين شقيقتي، نظرت لوجه والدتي المتوتر وسألت مرة أخرى:

- كيف حدث هذا كله؟

أجابتني والدموع تنساب على خديها، وقالت:

- كل شيء حصل بسرعة كبيرة، في البداية سمعتُ صرختها التي دوت بالمكان، كنتُ وقتها في المطبخ، عرفتُ أن هذه الصيحة قادمة من منزلنا، هرعت مسرعة لغرفة هناء فهي الوحيدة التي تكون موجودة في المنزل بهذا الوقت، فأنتِ ووالدكِ بمقرات عملكم، وبسَّام في المدرسة، أمَّا العاملة فكانت معي تساعدني في المطبخ، وبالفعل حدسي كان حقيقي، عندما رأيتها واقعة على الأرض، تتقلب وترتجف من دون أن تنطق بكلمة واحدة، كأنَّ ماسًا كهربائيًّا قد اخترق جسمها الضعيف.

جريتُ إليها أضمها وأحاول تهدئتها لمعرفة ما الذي جرى لها، لم تستجب لمحاولاتي؛ فقمتُ بضربها ضربات خفيفة على خديها؛ كي تنتبه لوجودي، ثم طلبتُ من العاملة إحضار كوب ماء بسرعة، رششت بعضه عليها وأنا أسألها: ما بكِ يا صغيرتي؟ لم ترد وكانت تنتفض بقوة وتهتز على أرضية غرفتها، عيناها تتقلبان بلا توقف طوقتُها بين يدي أريد إيقاف هذا الجنون، كانت أقوى مني لم أستطع السيطرة عليها، كانت غائبة عن الوعي تمامًا، وذاك الجسم يتحرك بسرعة كبيرة، ولم أبتعد إلا بعد أن رأيت الزبد يخرج من فمها، هنا تأكدت أن ابنتي بوضع سيء جدًّا وخطر.

نظر لنا المسعف، وقال:

- لا بد من نقلها للمستشفى بأسرع وقت ممكن، الضغط لديها منخفض جدًّا، والأوكسجين متزامن معه، سأقوم بالإسعافات الأوليّة لها الآن استعدادًا لنقلها.

كانت هناء وقتها محمدة على الأرض، لم أرَ سوى تلك الانتفاضات التي تخرج منها ما بين الحين والآخر، وحس أنين لم أفهمه.

دخل المسعف الآخر يجر السرير المتحرك، ومن بعد ذلك تم نقلها بسرعة السيارة الإسعاف، وعند وصولنا للمشفى أدخلوها بسرعة لغرفة الإنعاش.

هذه كانت البداية والتي من بعدها لم نجد أية إجابة على استفساراتنا، كأننا في اختبار لم نذاكر له جيدًا، تمهيدًا للتعب ودوامة المعاناة التي كانت سعيدة بوجودنا داخلها.

كنّا كأيَّة أُسرة عادية في ذاك الوقت، نعيش براحة وسعادة قبل هذا اليوم التعيس، ولا يوجد ما يعكر صفو حياتنا سوى التفكير بالمستقبل فقط.

هناء أختي التي تصغرني بثلاث سنوات، تتمتع بلطافة كبيرة وجمال هادئ، جسمها أنيق ورائع، كانت شمعة البيت التي لا تنطفئ، وروح البيت المرحة مدللة والدي، ويليها أخي الصغير بسام الذي لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، في مراحله الأولى لتوديع الطفولة واستقبال فترة المُراهقة المرهقة، كعادة الأولاد فهو كثير الحركة ويعشق التطفل وكشف الأسرار، ووالدتي لا تكبرنا كثيرًا، كونها تزوجت من والدي بعمر صغير، الجميع يظن أنها شقيقتنا الكبرى، بسبب التقارب الكبير بيننا، إضافة إلى وجهها

ذي الملامح الناعمة الذي لا يرتبط بسنها نهائيًّا؛ فشكلها كان يوحي بأنه أصغر من عمرها.

أما عني أنا، فلا أدري هل هي سُنَّة الحياة أن الأخت الكبرى لا تحظى بأية سمة من سمات الجمال، أو الرقة واللطافة، فأنا عكس هناء تمامًا، اتصف بالجدية والحزم، إنسانة مسؤولة ورزينة، رغم فارق السن البسيط فيما بيننا إلا أنها كانت تتفوق عليَّ بالعديد من المميزات الأخرى أيضًا، منها الرجال الذين يتوافدون علينا بزياراتهم المستمرة - واحدًا تلو الآخر - من أجل الظفر بأختي كزوجة وحبيبة له، وأنا لا أتمتع بأيّ من صفاتها التي تُبهر الجميع، ولم يطرق بابي أحد، كنتُ راضية ومستسلمة لقدري، فالفتيات في مثل عمري لا يفكرن سوى بالشريك، وفكرة التواصل الاجتماعي كانت منعدمة في ذلك الوقت.

أنتم تعلمون أن حياة الثمانينيات كانت هادئة، ولا ندري ما يحدث خلف جدران تلك البيوت من خفايا وأسرار، التلفاز هو الشيء المسلي الوحيد حينها، إضافة إلى الزيارات العائلية التي تحدث أسبوعيًّا، غير ذلك لا يوجد ما يملأ فراغ حياتنا، حتى الشوارع بتلك الفترة تنام مبكرًا ، ففي العاشرة مساءً تراها تغفر على أرصفتها، ولا تعود للحياة مرة أخرى إلا بشروق

الشمس معلنةً بداية يوم جديد، هذه حياتنا باختصار شديد.

2

- جميع الأعراض التي كانت تعاني منها شقيقتكِ ما هي إلا أعراض الصَّرع، ولكن بعد أن قمنا بعمل الأشعة والتحاليل تبيّن لنا أنها سليمة ولا تعاني من شيء، سوى انخفاض في ضغط الدم، وهذه المسألة تحيّرني بشكل كبير.

أثار كلام الطبيب قلقي ولم يكن التشخيص مقنعًا بالنسبة لي، لقد مررت بالعديد من حالات الضغط التي يعاني منها الكثير من الأشخاص الذين أعرفهم، لكن الأعراض لدى هناء مختلفة.

- كل الذي مرّت به شقيقتي سببه انخفاض الضغط فقط؟ هل أنت متأكد مما تقول؟

أجابني بهدوء:

- أنا مثلك تمامًا أشكُّ بأنها مجرد حالة انخفاض في ضغط الدم، وَلكن جميع التحاليل أثبتت خلوها من أي مرض، وصور الأشعة تنفي وجود أي أورام في المخ أو خلل في الأعصاب، من الممكن أن هذا العارض نشأ بسبب ضغوطات نفسية أو عصبية ولا يمثل أي شيء، وسأتابع معكم حالتها فى حال تكرر هذا الأمر مجددًا، لا يوجد ما يدعو

للقلق في الوقت الراهن ما عليها الآن سوى المواظبة على العلاج والابتعاد عمّا يثير حزنها أو غضبها

جلستُ شاردة الذهن لثوانٍ أفكر بما يقول، ثم أجبته:

- لا أدري ما الذي أقوله لكَ، كنت أتوقع شيئًا أكبر مما ذكرته؛ لأنها كانت بوضع يثير الخوف والقلق، كأنها فعلًا تمر بنوبة صرع شديدة.

عقد الطبيب حاجبيه استغرابًا، ثم سألني:

- هل هناك حالات مشابهة وقعت في تاريخ عائلتكم؟

أسندت ظهري على الكرسي ورددت على سؤاله:

- لا أتذكر شيئًا من هذا القبيل، فعائلتنا طبيعية جدًّا.

قال الطبيب وهو يكتب على الوصفة الطبية

- هذا يُعيدنا لنقطة الصفر، يبدو أنها فعلًا تمر بظروف نفسية أدّت بها لهذا الوضع.

قلتُ له بحزم:

- هذا ضرب من الخيال وفي الوقت نفسه مستحيل يا دكتور فأختي مثال للحيوية وحب الحياة، وأنا مقربة جدًا منها، ولا أذكر أنها في يوم اشتكت لي من أمر يضايقها.

ردَّ عليَّ قائلًا:

- أعتقد أن شقيقتكِ تُخفي شيئا ما عنكم مما أوصلها لهذا الوضع، لا تقلقي كثيرًا، حاولوا أن تستفسروا منها بعد أن تخرج، فلقد أوصيتُ على خروجها من غرفة الإنعاش وبعد ساعة ستكون جاهزة للذهاب معكم فلا داعي لبقائها في المستشفى.

بقيتُ أفكر فيما قاله الدكتور وهناك العديد من الأسئلة التي لم أجد لها أية إجابات مقنعة، وما تلك الضغوط التي أصابت شقيقتي فجأة وجعلتها تصل إلى هذا الحال؟

في المقابل لم يكن يشغل بال والدتي أي شيء سوى أن ابنتها بخير، وأن ما مرت به مجرد عارض صحي مفاجئ.

بعد خروج هناء، وبالتحديد بوقت عودتنا للمنزل، كانت ساكنة تريد لمام شتاتها المبعثر من تلك الحالة

الغريبة، وبعد فترة من الصمت سألت سؤالًا واحدًا فقط:

- ما الذي حدث بالضبط؟

شرحت لها أمي ما جرى كله بالتفصيل الممل، وسط اندهاشها مما سمعته، المصيبة أن ما تم ذكره كله لم يدخل بعقل شقيقتي ولم تصدق حديث والدتي التي بدورها كانت تحاول طمأنتها، أن ما حصل مجرد حالة صحية عابرة مرت بسلام، لكن هناء ظلت تُردد جملة واحدة:

- لا بد أنكم تمزحون معي، أليس كذلك؟ أرجوكم أريد معرفة الحقيقة.

بينما أنا كنتُ سارحة الذهن أفكر، وعقلي -أيضًا- لا يريد تصديق أية كلمة من التي ذكرها لنا الطبيب، هنا سألتها مباشرة وقلت:

- هناء... هل هناك أمر تخفينه عنا أوصلك لهذا الوضع ضغوط نفسية مثلًا جعلتكِ تعانين وتصلين لتلك النتيجة السيئة؟

نظرت هناء لي وقالت بسخرية

- هههههه ما هذه الدعابة السمجة يا سلمى... حياتي بالنسبة

لكم كتاب مفتوح، أي شيء أعاني منه أو أتعرض له أقوله لكم مباشرة، فليس لدي بهذه الدنيا سواكم، أنا لست من الفتيات اللواتي يُخفين أسرارهن، ولست متمرسة بتلك الأشياء.

مططت شفتي متظاهرة بعدم التصديق وقلت:

- هل هناك شخص دخل حياتك وقلبها رأسًا على عقب، أعلم جيدًا أن الرجال هم سبب أغلب أمراض النساء؟

لم يعجبها كلامي قَط، وبدا عليها بعض من ملامح الغضب:

- سلمى... ماذا دهاكِ... هل جننتِ؟ تعرفينني جيدًا إنني لستُ من هواة العلاقات العاطفية، وحتى وإن دخلتُ في إحداها ستكونين أنتِ أول من سيعرف بها.

سكت بعد كلامها وأنا أقلبه برأسي علّني أصل لنتيجة تريح بالي.

وصلنا إلى البيت وانتبهنا المركبة أبى المركونة أمامه، ارتسمن ابتسامة فرح على وجوهنا، فوالدي يعمل بإحدى الشركات النفطية ويغيب باليوم واليومين وفى بعض الأحيان يمتد غيابه لأسبوع كامل، وعندما

دخلنا عليه وجدناه يجلس على إحدى الأرائك في غرفة المعيشة والقلق والتوتر يتعصران قلبه، وعند دخولنا قفر من مكانه ملهوفًا يحتضن أختي هناء بقوة وهو يمطرها بسيل من الأسئلة عن حالها وهل هي بخير وما الذي حدث لها، وأبلغنا أنه عند وصوله للمنزل لم يجد أحد سوى العاملة وأخي بسَّام، وعند سؤالهما عن سبب عدم وجودنا، فأخبرته الخادمة بما جرى كله حتى خروجنا مع سيارة الإسعاف.

طمأنته والدتي بأن الأمور على ما يرام، مجرد عارض صحي بسيط و -بإذن الله- قد انتهى على خير.

عادت حياتنا لطبيعتها، لم يكن أمامنا سوى تصديق ما قاله لنا الطبيب، هناء بدأت تستعيد حياتها الروتينية خصوصًا أنه قد مر أسبوعان على تلك الحادثة ولم يحصل أي ما يثير القلق والمخاوف، إلا من شيء ء واحد، وذلك عندما تقدَّم أحد الأشخاص لخطبتها.

كانت الأمور كلها تبشر بالخير، اتصلت أم الرجل الخاطب وأخذت موعدًا للزيارة، سار كل شيء بهدوء وعلى حسب الأصول المتوارثة في مجتمعنا، كان شخصًا مقارب جدًّا لسنها، ويعمل بوظيفة مرموقة، لا أنكر أنني كنت أعيش بحالة من الفوضى النفسية،

التي تتمثل بالغيرة الصحية كما يقولون عنها، كلّ مَن يطرق باب بيتنا طالبًا الزواج لا يختار سوى هناء، ولم يكن هناك أيّ شخص يفكر بالزواج منّي أو حتى يعطيني فرصة، كنت أقول في نفسي محاولة تخفيف حدة الضغط الخفي، إنها لا تتعدى مسألة القسمة والنصيب، ذاك العذر الوحيد الذي نضعه كضماد من أجل تخفيف حدة الألم الذي تمر به أية فتاة بمثل ظروفي.

فتيات الثمانينيات لم ينقض مضجعهن سوى مسألة الزواج، فهناك عمر معين لا بد على الفتاة أن تتزوج به، وإذا تعدت هذا السن ستكون وجبة دسمة للتحليل والتفكير عن أسباب عزوف الرجال عنها.

نعم كنت تحت الضغط النفسي ولا ينقصني أي شيء، الفارق الوحيد بيني وبينها أنها تتفوق عليَّ بالجَمال، أما عني أنا فأفوقها بأشياء عديدة لعل أبرزها أنني فتاة لديها عملها الخاص، عدا ذلك فكلتانا متساويتين بكل شيء.

كانت الغيرة التي ذكرتها لكم تحرف روحي الهشة من الداخل. لم أفصح عمّا يجول في خاطري لأي أحد، كنتُ صامتة ابتلع تلك الغصات متظاهرة أمامهم بأنني راضية بقدري، وما أريده كله أن يدخل الفرح

دارنا بذلك الزواج، يتردد على ذهني فكرة أنني أحتاج الفرصة التي تجعلني مكان هناء وهي جالسة على عرش جمالها تختار وتُدلي بموافقتها أو رفضها لكل مَن تقدَّم لها، والعريس الجديد كان كامل المواصفات كما يقولون، ولا مجال أمامها سوى الموافقة عليه وعدم رفضه.

وهذا ما حدث بالفعل أعطت هناء كلمتها بالموافقة المبدئية وما طلبته كله هو الجلوس معه قبل إتمام تلك المراسيم بعقد القَران حتى إننا فضّلنا عدم ذكر الحادث العارض الذي وقع عليها سابقًا.

وتحدد موعد تلك الزيارة التي مرت بكل هدوء، وموافقة من الطرفين على جميع الشروط، والخطوة القادمة هي تحديد موعد حضور الرجال حتى تتم الأمور بصفة رسمية، لكن قبل ذلك حصل شيء قَلَبَ الموازين كلها وجعلنا نعود للمربع الأول.

3

«وإنتي (بعيونج) لي وطن... مسحووور، إنتي المكان إنتي الزمن.... مسحووور... اللي أحس فيه بالأمان».

ارتفعت عقيرة المطرب (عبدالله الرويشد) عاليًا خارجة من غرفة هناء، بأغنية مسحور التي كنتُ أحبها كثيرًا، فهي من أروع الأغاني في ذاك الزمن وكانت مشهورة جدًّا.

كنتُ وقتها أردد كلماتها وأدخل بحالة من الطرب الذي يمُتعني، توقفتُ قليلًا بجانب غرفتها أترنم بكلمات الأغنية، وبعد دقيقة من ذلك توقف كل شيء، سمعت حس هناء وهي تتحدث بعد أن اختفت نغمات الأغنية، في البداية لم تكن الكلمات واضحة كانت خافتة قليلًا بالكاد أستطيع سماع حسيسها، وبعدها بدأ الصوت يتضح أكثر، كانت هناء تتحدث بحس باكٍ، وهي تقول:

- لا بد لكَ أن ترحل، من الصعب الارتباط بكَ، أنتَ تعرف جيدًا بأنني مقبلة على حياة جديدة، وهناك رجل سيدخلها.

صمتت بعد هذه الجملة بينما الدهشة كانت تحتل أركانًا عديدة من عقلي، وكنت أردد وأقول ما كنت

أتوقعه كان حقيقيًّا هناء تعيش الحب مع شخص ما، وهذا ما جعلها تدخل بتلك الحالة.

اقتربتُ من الباب كثيرًا حتى ألصقتُ إحدى اذنيّ عليه، أريد. سماع المزيد؛ لتتسنى لي معرفة الحقيقة كاملة.

ظهرت نبرة رجولية خشنة من العدم، هناك شخص معها بالغرفة، هذا ما جعلني أتفاجئ كثيرًا، وبداخلي أقول ما الذي تفعله تلك المجنونة؟ كيف فعلت هذه الفعلة وقامت بإدخال رجل للمنزل والحجرتها؟ بعدها ركزت سمعي ليقول ذاك الرجل:

- كيف لكِ أن تتصوري أن بإمكاني تركِكِ، أنتِ بالنسبة لي الحياة والروح، طلبكِ مستحيل.

صرخت هناء باكية وأجابته:

- ما تقوله هو المستحيل، فنحن الاثنان لن نكون لبعضنا البعض، كوننا مختلفين الاختلاف كله، أنا لا أنكر بأنني أميل لكَ، لكن أرجوكَ إذا كنتَ بالفعل تحبني كما تقول، فعليكَ الابتعاد عن حياتي، وتركي بحالي فلن أتحمل أكثر، فالعشاق لا يعرفون الانتقام.

ردَّ الرجل بصياح غاضب وقال:

أنتِ لي ولن يستطيع أي مخلوق أن يفرقنا عن بعض، تعرفين ذلك جيدًا منذ موافقتكِ على دخولي حياتك، هذا عهد بيننا ولن ينكسر بزواجكِ من غيري، سأنتقم منه شر انتقام جزاءً له على اختياره لكِ، تراجعي عن قراركِ وإلا سأؤذيه، ولن يهنأ بعد هذا اليوم، سأقلب حياته إلى جحيم.

ما أقبح فعلة تلك الفتاة، شرارة الغضب تشتاط بداخلي لا أصدق ما أسمع، لم أكن أفكر بفحوى تلك الجمل التي وردت على أذني، كل ما أفكر به كيف لهذه المجنونة أن تُدخل رجلًا غريبًا للمنزل، ما هذه الجرأة والوقاحة؟

ردت عليه هناء بتوسل:

- أرجوك يا سليل اخرج من حياتي، لن أكون لكَ، ما أريده كله أن أعيش حياة طبيعية، ومنذ معرفتكَ لم أهنأ بالاستقرار.

ردَّ عليها الرجل:

- هذه آخر أقوالك؟ إذن فأنتِ تعلنين الحرب، تأكدي جيدًا بأن حياتك القادمة لن تستقر مع أحد غيري، ولن تنعمي بالراحة معه أبدًا ما دمت

حيًا، سأجعله يندم على أنه فكر بكِ كزوجة له، لن أسمح له أو لأي شخص أن يقترب منكِ.

سمعت هنا بكاء هناء، وبعدها صراخها وهي تقول:

- لن أبقى معكَ ... وسترحل مثل ما دخلت، لم تكن من ضمن اختياراتي، أرغمتني عليك، واقتحمت حياتي بلا أي مبرر، وعاهدتك مجبورة رغم أنني لا أميل لمَن هم مثلك.

قال الحس الخشن بغضب:

- لكِ حرية الاختيار، ولي حرية التصرف.

بعد هذه الجملة شعرت بهبوب تيارات هواء عالية الحرارة بدأت تخرج من الغرفة، وبالتحديد من تحت الباب، هل هو الغضب الذي اجتاحني بسبب تصرفها المشين؟

أدركت أن هناك شيئًا غريبًا يحدث بالداخل مع بكاء أختي، ثم بدأت تصرخ بعلو حسها وهي تردد بعض الكلمات غير المفهومة مختلطة بأصوات بعض الأشياء وهي تتساقط في غرفتها، كنتُ بهذا الوقت مرتبكة قليلًا، تعمّني الفوضى من الداخل، أتمنى لو أدخل لكي أخنقها بسبب أفعالها الشنيعة التي قامت بها بعد أن تجرأت وأدخلت هذا الرجل لغرفتها.

الأصوات لا تزال متداخلة، وعويل أختي في تزايد، هنا قررت سريعًا أن أدخل لكي أضبطها مع هذا اللعين بالجرم المشهود، وفور ما وضعت ييدي على مقبض الباب وفتحته، عادت ترانيم الأغنية مرة أخرى، ولم أسمع سوى صوت عبدالله رويشد و هو يردد:

«وينك يا عمري من زمان ... عزفي وأنا اللحن المثير ... اللحن المثير... نادي على دربك أسير ... على دربك أسير».

في البداية لم أصدق ما كنتُ أسمعه، الأغنية لم تكن تعمل قبل ذلك إلا في البداية، ولم يكن هناك أي شخص، المساحات التي أمامي فارغة تمامًا، دلفت للحجرة أريد رؤية هذا الحقير الذي يهدد أختي لكي ألقنه درسًا لن ينساه، أين توارى ذاك اللعين؟

هنا فطنت بأن هناء لم تكن موجودة بالغرفة أيضًا، وقلتُ في نفسى اين اختفت؟ دورت أبحث في الحجرة عنهما، من المستحيل أن يكونا قد تبخرا هما الاثنان بهذه السهولة، وقعت عيني على النافذة التي كانت تغطيها الستارة، فتحتها بسرعة لعلي أجدهما خلفها، لم يكن هناك أي شيء، والمصيبة الأكبر أن النافذة كانت مغلقة بإحكام ومن الصعب خروج أي إنسان منها كونها متسلحة بتلك القضبان الحديدية.

بينما لا يزال الكورال الذي يغني مع عبدالله رويشد يردد كلمة: «مسحوووور».

اتجهت الجهاز التسجيل وقمت بإغلاقه، لأرى بجانبه شريط كاسيت أسود اللون مكتوب عليه عبدالله وبجانب ذلك الاسم كلمة مسحور، لكن كيف؟ فتحت المكان المخصص لوضع الشريط والمصيبة أنه يخلو منه من أين أتت تلك الترانيم إذن؟

ارتعد قلبي من الهلع ولا تزال عيناي تبحثان عنهما، وبداخلي أقول:

- أنا متأكدة مما سمعت، من المستحيل أن يكون ما سمعته مجرد وهم رسمه عقلي.

عمَّ الهدوء، والمكان يخلو من أي مخلوق، أتفحص الغرفة بعيني، لم أرَ سوى بعثرة الحاجيات هنا وهناك، وهتفت وقتها بصوت مسموع:

- هناء ... لقد سمعتُ كل شيء، لن يفيدك الاختباء معه، لم أتصور للحظة بأنك وصلتِ لهذه المرحلة من الانحطاط والانحلال، كيف لكِ أن تخوني ثقة والدي بكِ! اكشفي عن نفسكِ كي نضع حدًّا لعَارِك.

لم تكن هناك أية إجابة، السكون هو مَن يحتل المكان، السؤال الوحيد الذي يتردد بداخلي أين وكيف استترا بهذه السرعة؟

كنتُ في قمة توتري، وصدري يعلو وينخفض من شدة الانفعال، وبعد هذا الارتباك كله ظهر أنين من العدم، ركزتُ سمعي، كما توقعت إنها تختبئ بالدولاب مع ذلك الملعون.

انطلقتُ نحوه مسرعة، وبعدها فتحته متخيلة ذلك المنظر الذي من المتوقع أن أراه في هذه الظروف، لكن ما رأيته فاق التوقعات والاحتمالات كلها كانت هناء تجلس في الدولاب خلف بعض الملابس بحالة متعبة متقرفصة على نفسها بوضعية الجنين، شعرها منكوش، عيناها ذابلتان، واضعة يديها على رأسها.

في البداية لم آبه بها، وجل تفكيري منصب على الرجل الذي رأسي للداخل لعلّي أراه خلف الملابس، لم أ. لم أجد أي شيء، تراجعت للوراء فتحت أبواب الدواليب الأخرى، وكأنه سراب لقد اختفى تماما، رجعت لها وقلت بحدة:

- أين أخفيتِ عشيقك يا سا...؟

لم تُجب على كلامي كانت بحالة يرثى لها، أعدت سؤالي والغضب يتطاير من عيني، كانت المسكينة بحالة إعياء كاملة.

سحبتها من الدولاب، وهي كالقطعة البالية لا تقوى على حمل ما، وبعدما جررتها للخارج تمددت على أرضية الغرفة بلا حراك.

ولا تزال كلماتي القاسية تسقط عليها كالسياط، هنا نهضت وعلى ملامحها الذهول، وتنظر خلفي كأنها ترى شيئًا، لتقول:

- لن يتركني يا سلمى ... حياتي ستنقلب إلى جحيم مستعر

التفتُ بسرعة خلفي أريد أن أرى الرجل الذي ذكرته، متوقعةً أنه يقف ورائي لكن لم يكن هناك شيء وقلت:

- لا أرى أحدًا يا هناء، أين أخفيتي ذلك الرجل؟

كانت وقتها تقف بصعوبة وتترنح بخطواتها لتقول مجددًا:

- لا أدري مَن جلب هذا المعلون الحياتي، كل ما يريده الآن أن يستحوذ عليَّ، وإيذاء كل من يقترب مني، لن أعود كما كنت.

عاد صخب جهاز التسجيل من جديد ليصدح بصخب مرددًا أغنية عبدالله رويشد مجددًا ... لأسمع الكورال الذي كان يقول (مسحوووور) بطريقة أفزعتني، كان صوتهم أشبه بعويل متباطئ ويختلط بعدها بصيحات غليضة وأجشة لرجل نابعة من قلب الأغنية وهو يردد كلمة مسحور بشكل مخيف.

لتصرخ هناء صرخة عالية في هذه اللحظة وتسقط على الأرض مجددًا، وكل جزء من جسمها ينتفض، تذكرت المشهد الذي ذكرته لي أمي سابقًا عن الحالة التي اجتاحت شقيقتي وسقوطها أول مرة، انطلقت نحوها محاولة تخفيف حدة ارتجافها والسيطرة عليها، كانت أقوى من عُصبة رجال مجتمعين، تقاوم محاولاتي كلها للإمساك بها بشدة وبأس، وفي هذه اللحظة انقلبت عيناها للسواد التام وامسكت بكتفي بقوة، شعرت بأظافرها وهي تنغرس بلحمي ما يحدث كان مؤلمًا، لم أستطع الصراخ أو إبعادها عني من هول الموقف، ثم خرج صوت غريب لا أعرفه من فمها يقول:

- ابتعدي عنها واتركيها لن تعود بعد اليوم كما كانت أصبحت ملكًا لي، لي أنا وحدي.

تراجعتُ للوراء بعد أن تركتها وانقلبت حالة الغضب التي أعيشها الرعب لا مثيل له عيناي تكادان أن تخرجا من محجريهما، ثم عادت هناء بعد ذلك بالارتجاف وانقلبت عيناها للبياض الشاحب بطريقة مرعبة.

لم يكن أمامي سوى الصياح عاليًا طالبة النجدة من والداي وبعد صراخي المتكرر سقطت غائبة عن الوعي ولم تسعفني أعصابي لتحمل تلك الأهوال أكثر.

من يومها انقلب حال بيتنا، كل شيء تغير، الغموض والخوف هما ما كانا معنا بكل لحظة، والأسئلة التي كنتُ أريد إجابات واضحة عليها في البداية، ازدادت بل باتت أكثر صعوبة.

وكلما تذكرت أغنية مسحور، أستحضر معها ذاك الموقف المرعب، وأصبحت الأغنية تلك مجرد ذكرى سيئة، بل كرهتها حد الجنون.

كل ما أريد معرفته من هذا الرجل الذي كان يتحدث مع أختي والذي أوصلها لتلك الحالة الغريبة؟

4

كان والدي يراقب شقيقتي الممددة على سريرها، بنظرات مشفقة وعينين مغرورقتين بدموع حبيسةُ أجفانها، غير مصدق لما أخبرته به عن حادثة الغرفة التي رويتها له، مع تجنب استحضار مشهد حديثها مع الرجل، الذي ذاب بحجرة هناء كما يذوب الثلج بالماء وحذفه تمامًا من القصة.

هناك موقف آخر لم آتِ على ذكره لكم متعلق بالأحداث الماضية أيضًا، وهو فور سماعي للصوت الغريب الذي خرج من فم أختي، لم أستطع تمالك نفسي وسقطت بسرعة من شدة الخوف مغمى عليَّ، ولم أنهض إلا وأنا بين ذراع والدتي وهي تمسح على وجهي ببعض قطرات من الماء وتذكر اسم الله عليَّ، بينما شقيقتي كانت جالسة على الأرض ومسندةً ظهرها إلى أحد حوائط الغرفة وتنظر للفراغ أمامها بحدة هي ترتعش وتنتفض ما بين الحين والآخر، والدي كان بجانبها يحاول فهم ما جرى لي وما هو سبب سقوطي المفاجئ وشرودها اللا مبرر، لحظتها تذكرت كل شيء، وبدأت ألتفت حولي بانفعال مضطرب أبحث عن صاحب الصوت المرعب،

أدركت حينها أن الملعون الذي كان هنا قبل قليل قد استطاع الهرب.

نهضت بعد أن استعدت غضبي من جديد وتوجهت ناحيتها أريد ضربها وشدها من شعرها لكي تقر وتعترف عن سبب وجود شخص غريب في بيتنا، لكنني شعرت لحظتها بأن حلقي قد تحجر ولساني انعقد ولم أستطع التفوه بأية كلمة ما هذا؟ ما الذي أصابني؟

انتبهت والدتي لي وأنا زائغة العينين أرتجف خوفًا، أحاول النطق ولا أستطيع الكلام، فأسعفتني بكوب من الماء أخذته من بين يديها وتجرعته دفعةً واحدةً، ثم ألقيت جسمي على الكرسي القريب مني وأنا ألهث محاولةً ضبط نفسي المختلجة.

بعد عدة دقائق وجه والدي لي السؤال وقال:

- كيف حالكِ الآن يا ابنتي؟ ما الذي حدث لكما؟

نظرت إليه بعينين متعبتين وقلت:

- أنا بخير يا أبي لا تقلق، كل ما في الأمر أن الحالة رجعت لهناء مرة أخرى.

نظرت لوجه أمي التي ذُعرت فور سماعها الجملتي الأخيرة ثم أكملت:

- في البداية سمعت صراخها وبعض الدربكة من غرفتها، وعندما دخلت...

صمتُ هنا قليلًا، كنتُ أنظر لهناء التي لا تزال شاردة، وأعيد الكَرة لوالداي اللذين كانا يترقبان حديثي، وقلت:

- كانت ممددة على الأرضية ترتجف وتنتفض بشدة كبيرة، وخفت أن تؤذي نفسها، حاولت إيقافها ولم أستطع بسبب القوة الهائلة التي كانت عليها، ومن دون شعور اصطدم رأسي بهذا الجدار وسقطت مغمى عليَّ.

لا أعرف ما السبب وراء سكوتي وعدم إخبارهما بالقصة كاملة، وإخفاء الحقيقة عنهما، التي لا بد عليهما سماعها.

وقفت والدتي وقالت:

- هل انخفض ضغطها مجددًا؟

ثم وجَّهت سؤالها لشقيقتي وقالت:

- هل توقفتِ عن أخذ الدواء؟

لم تُجيبها هناء؛ بل ظلت صامتة وتنظر للفراغ الذي أمامها.

هنا تحدث أبي وقال:

- لا أعتقد الأمر مرتبط بانخفاض أو ارتفاع الضغط الأعراض كلها التي ذكرتموها ليس لها علاقة بذلك، لا بد أن نقوم بعرضها على مستشفى جيد لعمل فحص كامل وشامل ؛ لنتأكد من علتها.

فضلتُ السكوت وعدم المشاركة برأيي؛ لأنني وبكل بساطة كنتُ على علم أن ما يقولانه كله ليس له علاقة بحالة هناء، الأمر أكبر مما نظن.

قطعت والدتي لحظات الصمت تلك وقالت لي:

- هل تعانين من شيء يا سلمى بعد ارتطامكِ بالحائط، هل أنتِ بخير؟

أجبتها:

- الحمد الله أنا بخير، لا تقلقي عليَّ...

قال والدي لهناء:

- غدًا صباحًا سأعرضكِ على طبيب أعرفه جيدًا من أجل الكشف عليكِ.

لم تُجب عليه وبقيت ساكنة تنظر إلى شيء لا نراه.

كان أبي يرمقها بقلق بسبب عدم ردها عليه وقال:

- هل فقدت النط؟ لما لا تجيب على كلامي؟

تدخلتُ وقلتُ:

- أعتقد أنها ما زالت تعاني من آثار الصرع التي كانت عليها، دعها تستريح الآن يا أبي، وغدًا صباحًا ستكون جاهزة للذهاب معكَ، سأبقى معها الليلة كلّها أراقب حركاتها كلها لعلي أصل معها لنتيجة.

وفي هذه اللحظة دخل علينا أخي الصغير بسام وعلى وجهه ملامح التعجب، وقال:

- كنت أبحث عنكم، لما أنتم مجتمعون بغرفة هناء؟ هل حصل لها شيء غامض مجددًا؟

أجابته والدتي:

- لا يوجد هناك ما يُقلق، لا عليكَ تعب بسيط قد أصاب أختيك وهما على ما يرام الآن.

لكنني انتبهت لكلامه ثم اقتربت منه وسألته بهمس:

- ما الذي تقصده بالشيء الغامض؟

ردَّ عليَّ بطريقة الهمس نفسها أيضًا وقال:

- هناء ليست على طبيعتها، لقد أصبحت انطوائية وتُفضِّل العزلة، كما أنها مرتابة على

الدوام ولا تتحدث معي سوى بالوشوشة، وكأن هناك مَن يتجسس عليها.

مططت شفتي وأنا أفكر وأقول في نفسي:

- إذن هناك سر، وعليَّ كشف حقيقته.

قالت والدتي:

- أنا سأبقى معكما فوضع أختكِ يا سلمى يقلقني كثيرًا.

قلت بسرعة:

- لا...

ثم بعدها تداركت الموقف وحاولت أن أكون أهدأ مما كنتُ عليه:

- لا يا أمي، الأمر لا يستدعي هذا كله، هي ليلة واحدة، لو حصل شيء طارئ، فغرفتكما ليست ببعيدة، سأطلب منكما النجدة والساعة الآن كما تريان هي العاشرة مساءً الوقت متأخر كثيرًا، وسأكون حريصة عليها فهي بالنهاية أختي أيضًا.

اقتنع والداي بما قلت، وجلسا قليلًا يحاولان أن يستنطقا هناء بأية كلمة، لكن محاولتهما كلها باءت بالفشل، بقيت صامتة طوال الوقت وهي مستمرة

بالحملقة بشرود أمامها تتأمل الخواء، بعد ذلك رحل والداي وهما متوجسان وقلقان من تلك الأحداث الجديدة بالنسبة لهما.

وبعد رحيلهما نظرت لها ثم قلت بعصبية مباشرة:

- من ذاك السافل الذي كان معكِ بالغرفة؟ هيَّا أجيبيني.. لا تعتقدي أنني لم أخبر والداي بما كان يجري هنا وإخفاء الحقيقة عنهما لحمايتكِ والتستر عليكِ.

لم ترد ولم تكن هناك أية إجابة، كانت على حالها.

ثم أكملت كلامي وقلت:

- أنا لم أخبرهم بفعلكِ المعيب لكي أعرف منكِ السبب وراء هذا كله، ولماذا خنتي ثقة العائلة بكِ؟ لماذا وافقتي على العريس الجديد إن كانت لديك حياة سرية يتضمنها عشيق؟ لقد أوقعتِ نفسكِ والعائلة بمأزق كبير.

لاحظتُ هنا أن تعابير وجهها قد تغيرت وبان عليها الارتباك بلع وهي تنظر للمكان نفسه، التفت ناحية ما ترى لكن لا شيء، آبه بما تفعل وقلت:

- حتى التمثيلية التي قمتِ من خلالها بتغيير صوتكِ لصوت رجولي ما هي إلا محاولة فاشلة

لإخفاء الحقيقة، صحيح أن حيلتكِ قد انطلت عليَّ في البداية، لكن بعدها أدركت بأنها لم تكن سوى محاولة غبية منكِ لإرباكي والفرار من حجرتكِ، لاكتساب الوقت الكافي لإخفاء معالم وجود عشيقكِ الذي كان معكِ هنا، وإتاحة الفرصة له بالخروج والهرب، كردة فعل مستهترة وغير مدروسة.

رفعت هناء إصبعها السبابة وهي تشير لشيء أمامها ونظرات الفرع تنطق من عينيها، وقالت:

- لا يزال معنا بالغرفة يا سلمى، أنا لا أخفي أي شيء، إنه ينظر لكِ بعينين يشتعلان حقدًا وغضبًا بسبب تدخلاتكِ ويتمنى أن يقضي عليكِ، إنه يكرهكِ كثيرًا.

لا أنكر حينها أنني شعرتُ برعشة خوف شديد بسبب جديتها في الكلام، وتظاهرت أمامها بعدم الاكتراث وقلت:

- كُفّي عن هذا الهراء، غرفتك فارغة ولا يوجد بها أي شخص غيرنا، ألاعيبكِ تلك لا تُجدي نفعًا معي، أخبريني باسم الرجل الذي تعشقينه حتى أضع حدًّا لما فعله.

أجابتني وهي ترتجف خوفًا:

- سليل.

قلت لها مستفسرة

- مَن؟ اسمه سليل؟

هزت رأسها بإيجاب وقالت:

- نعم كما قلتُ لكِ، ولا أريد تكرار اسمه.

أكملت حديثي:

- أين يسكن؟

التفت ناحيتي بسرعة والرعب يتطاير منها وقالت:

- بالعالم الآخر.

عقدتُ حاجبي بغرابة وقلت:

- هل هناك شيء ما يسمى بالعالم الآخر؟ ما هذا الهراء؟ أنتِ لا تزالين مستمرة بحالة الكذب والمراوغة، لو بقيتِ وضعك على هذا الحال سأخبر والداي بأنك على علاقة مع أحد الأشخاص، يشغل بالكِ وهو الذي أوصلك لهذا الوضع، دعينا نُنهي هذا الموضوع بطريقتي الخاصة، كَوني شقيقتكِ الكبرى، ولا أريد أن

يصل هذا الأمر لوالداي أو لأهل زوجكِ المستقبلي.

قالت وهي تردد:

- صدقيني ما ذكرته كله حقيقي، إنه حقيقي... حقيقي يا سلمى، إنني لا أكذب، هذه هي الحقيقة، دخل حياتي من بوابة العالم الآخر، مرددًا «لقد انعقدت العقدة... أنا لكِ وأنتِ لي... لقد انعقدت العقدة... عقدة أبدية ولن تنحل .... حتى ترضخي لي وتكوني مِلكي ... لقد انعقدت العقدة».

توقفت قليلًا ثم أكملت:

- إنه يقترب الآن... لا يريد وجودكِ بالغرفة.

وبعدها بدأت ترتجف كما هي العادة وعيناها تتقلبان وبعض الأحيان كنت أراها بيضاء كاملة، حاولت إيقاف هذا كله لكنني لم أستطع، العرق بدأ يتصبب منها صبًّا وكأنها غرقت به، ولم تتوقف تلك الفوضى إلا بعد أن بدأت قراءة المعوذات.

صرخت أختي صرخة واحدة مدوية، ثم سكنت فجأة لثوانٍ قليلة كأن سهمًا قد انغرس بظهرها، لتسقط بشكل مباشر على سريرها، وهي غائبة الوعي، وقتها لا

أدري ماذا أفعل، كنت مترددة كثيرًا بالبقاء، بسبب الأشياء الغريبة التي تحدث في غرفتها، وقلبي يخفق بكل قوته، استمريت بقراءة المعوذات لمدة دقائق لتفتح هناء عينيها بشكل مفاجئ ومن ثَم نهضت وملامح الاستنكار مرتسمة عليها وهي تنظر لي، وعاد وجهها إلى سابق عهدنا به جميلًا وحيويًّا، وقد زال عنه الشحوب، وقالت لي متسائلة:

- لما أنا بهذه الوضعية؟ ولماذا تقفين فوق رأسي بتلك الطريقة؟

أجبتها بذهول:

- لقد كنتِ ترتعشين قبل دقائق، وأغمي عليكِ.

قاطعتني وقالت:

- ماذا؟ أرتعش ما أتذكره كله أنني كنت أستمع لأغنية عبدالله رويشد وأعتقد أنني غفوت بعدها من دون لا أدري، وصحيت لتوي.

ابتلعت ريقي من الخوف، وسألتها مجددًا:

- حبيبتي هل أنتِ متأكدة أنكِ لا تذكرين أي شيء مما حدث منذ الساعة الثامنة؟

رفعت أحد حاجبيها بسخرية وقالت:

- ولماذا أكذب عليكِ؟

نهضت من مكانها متوجهة إلى جهاز التسجيل وضغطت على زر التشغيل.

ليبدأ عبدالله رويشد يشدو بأغنية مسحور ... وقالت:

- كما تسمعين هذا ما كنتً أفعله قبل قليل.

لتخرج عيناي من محجريهما من هول المفاجأة بعد أن أدارت جهاز التسجيل لتخرج منه هذه الألحان، أمسكت بالمسجل ورفعته لأرى أن شريط الكاسيت بداخله، ما نوع هذا الجنون الذي لا أستطيع الخروج من متاهته، للتو كان الشريط على الطاولة.

سألت هناء بحس مرتجف:

- أختي هذا الشريط كان خارج الجهاز قبل أن تضغطي زر التشغيل، كيف له أن يقفز لداخله من دون أن نلاحظه!

رفعت هناء أحد حاجبيها مستنكرة حديثي لتقول:

- سلمى أنتِ بحاجة لعلاج نفسي، أنتِ مَن تهرطقين بكلام غير معقول، شريط الكاسيت موجود بجهاز التسجيل منذ البداية، يبدو أنك

تعانين من ضغط كبير جعلكِ تتخيلين أمورًا لم تحدث من الأساس.

توارَد إلى ذهني بأنها من الممكن أن تكون صادقة في هذه النقطة، لكنني تجاهلت ما قالته حينها، واستحضرت الموقف السابق الذي أكد لي بأن حالة شقيقتي وصلت لمرحلة متطورة والأمر يحتاج مني الجَهد الكبير كي أعرف الحقيقة، لأتسلح بالجدية مرة أخرى وسألتها:

- هناء ... هل كان معكِ أحد بالغرفة منذ برهة؟

قالت لي وهي تحاول شرب الماء:

- كنت جالسة مع نفسي أخطط الحفل عقد القران، ولا يوجد أحد معي، ثم إنك تعرفين بأن والدتي تكون مشغولة بأخبار سكان الحي مع جارتنا نجاة في هذا الوقت، ووالدي مع أصحابه في الديوانية، وبسَّام يلعب كرة القدم مع أصدقائه أما عنكِ أنتِ فلا أعلم أين كنتِ، هل تعتقدين بأنكِ كنتِ معي بالغرفة دون علمي أو علمكِ؟

استعرتُ غضبًا من ضحكها واستهزائها على سؤالي، ثم قلت لها بحدة:

- هل جننتِ؟ لما هذا الاستخفاف بالموضوع؟ إنني جادة في سؤالي هل كان معكِ أحد غريب هنا؟

ردَّت عليَّ وهي متفاجئة من ردة فعلي:

- لا يا سلمى لم يكن معي أحد.

ازادت غرابتي وسألتها:

- هل ما تذكرينه الأغنية فقط؟

هزت رأسها للتأكيد وقالت:

- ولا أدري كيف غفوت بهذه السهولة.

قلت لها:

- والداي قبل قليل كانا هنا بالغرفة هل تذكرين ذلك؟

التفت ناحيتي وقالت:

- ما بكِ يا سلمى؟ هل تعانين من خطب؟ قلت لك أكثر من مرة لم يكن معي أي أحد، استيقظت لأجدك أمامي.

أردفت حديثي بذهول وقلت:

- لقد كنت تُشيرين قبل دقائق لشخص ينظر لكِ بالغرفة.

ابتسمت بسخرية وقالت:

- أنتِ مجنونة يا أختي، هل هذه طريقة جديدة لكي ترعبيني؟ اذكري الله وصلي على النبي.

كاد رأسي أن ينفجر، بقيت صامتة قليلًا أراقب تصرفاتها التي كانت أغلبها طبيعية، وضعت يدي في جيبي وبعدها شعرت جود ورقة، لا أتذكر أنني قد وضعت شيئًا به، قبل أن تحصل هذه حداث كلها.

سحبتها بهدوء، كانت ورقة بيضاء صغيرة مطوية، ومكتوب بوسطها بخط رديء جملة كان لها دور عظيم في هز كياني:

«هذا الزواج لا بد أن يتوقف، هذا تحذيري النهائي»، وبذيل هذه الرسالة كُتبت كلمة: «السقم».

5

مَن كان يصدق أو يخطر بباله أن عشنا الهادئ وأفراده المسالمين تصيبهم لوثة غريبة لا أسباب لها تعكر صفوهم، طل الصباح بيوم جديد، بعد ليلة خبيثة كنتُ أحاول فيها إقناع أختي بأنها تعرضت لحالة صرع، والتي على إثرها سقطت فاقدة الوعي، في الجانب الآخر كنت أحاول بشتى الطرق إطفاء نيران شكوكي حول الصوت الذي سمعته البارحة، في المقابل كانت شقيقتي تنفي ولا تتذكر أي شيء مما جرى.

لم يكن الأمر سهلًا في البداية، لكنها اقتنعت ولم يكن أمامها سوى الاستسلام التام، بعد إلحاح والداي على أن ترافقهم لأحد المستشفيات الخاصة، من أجل عمل فحوصات شاملة للتأكد من سلامتها، والاطمئنان عليها قبل موعد زواجها الذي بات قريبًا.

مرت الساعات ثقيلة حتى الظهيرة أجرت أختي خلالها مجموعة من الفحوصات الضرورية بالنسبة لنا، لنعود أدراجنا وسط تذمرها وتوعدها لنا بعدم الذهاب معنا مجددًا لعمل أي من تلك الأشياء، فهي تؤكد أنها سليمة ولا تعاني من خطب، وربما هذا كان مجرد ضغط نفسي.

وطبعًا كلما ترددت كلمة ضغط نفسي، تبدأ الشكوك في لعب ألاعيبها بعقلي، معتقدة أن هناء تريد إخفاء فعلتها الشنيعة بعد أن اكتشفتُ وجود شخص معها في الغرفة، وعليَّ أن استجوبها مرة أخرى؛ لكي يرتاح قلبي، فأنا متأكدة مما سمعته ولن أكذِّب أذنيّ.

وعند وصولنا للمنزل وقعت عيني على جارتنا نجاة؛ تلك العجوز الشمطاء التي لا يرتاح لها قلبي، كونها امرأة ثرثارة وكثيرة التدخل فيما لا يعنيها، وتتظاهر- دائمًا- بالحب والخوف علينا، وأنا أجزم بأنها تضمر لنا غير ما تظهره، ولا أدري كيف علمت توعد وصولنا من المستشفى وبمجرد أن رأتنا توجهت مباشرةً ناحية هناء وقامت باحتضانها، وهي تردد:

- ألف سلامة عليك يا حبيبتي، شر وقد زال بإذن الله.

وبعدها راحت تقبّلها وتطبطب عليها بيدها، وسط اندهاشي وعلمي بأن كل ما تقوم به مجرد مسرحية هزلية هابطة، المصيبة أن والدتي تصدق كل ما تقوم به تلك العجوز الغبراء وتسمع كل كلمة تقولها من دون أي تردد، ثم أكملت حديثها قائلة:

- لقد أخبرتني الخادمة أنكم في المستشفى، وقلبي كان معكم ففضلت الجلوس خارجًا وانتظاركم، إنها عين لم تصلي على النبي.

لم يكن أمامي سوى مجاملتها بالكلام رغم نفوري منها وعدم تقبلي لها، جلست أنظر لعينيها اللتين تتحركان بسرعة كاشفة زيف تصرفاتها، راصدة بعينها اليمنى تحركاتنا وتصرفاتنا، وبالعين اليسرى تعابيرنا الداخلية، وبعدها بدأت سيل الأسئلة والاستفسارات عن الأسباب التي جعلتنا نذهب للمستشفى، ووالدتي تجيبها بكل صراحة، وهذا ما يزيد غيظي، أمي تميل لها كثيرًا وتقدر ما تقوم به، لم أتحمل تلك التمثيلية الرخيصة التي قامت بها، استأذنتهم وذهبت لغرفتي أريد الراحة بعد ليلة لم تذق بها عيني النوم سوى السويعات قليلة.

مر اليوم عاديًا لا جديد به سوى من تكثيف مراقبتنا الحالة هناء ما بين الاطمئنان عليها أو التركيز على تصرفاتها، كنت أتمنى أن تمر الليلة بلا منقصات، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

نهضت في ذاك اليوم على منظر كاد أن يوقف قلبي من الرعب، عندما رأيت هناء تقف بجانب سريري وهي زائغة العينين بشعر منكوش، بلا حراك، في

البداية لم أكن مدركة لما أراه كوني ما بين النوم واليقظة بالإضافة إلى الظلام الذي كان يخفي أغلب ملامحها، قفزت من مكاني وصرخت، وبعدها أدركت أنها شقيقتي وقلت:

- لماذا تقفين بهذه الطريقة؟ وماذا تريدين مني بهذا الوقت؟

لم تجب كانت تقف فقط بلا أية كلمة كررت سؤالي لها، وما أن انتهيت حتى قامت بإخراج عدد من الأوراق التي كانت تخفيها وراء ظهرها ووضعتهم على فراشي.

لم أفهم ما الذي تقصده بتصرفها، كنتُ مرتبكة كثيرًا بسبب ما تقوم به، وقعت عيني على الساعة التي كانت تشير للثالثة فجرًا، مددت يدي على الأوراق التي فهمت بعدها أنها عبارة عن رسائل.

- رسائل مَن هذه التي جلبتها لي بهذا الوقت؟ هل عادت لكِ تلك الحالة الغريبة؟

جلست على طرف سريري من دون أية ملامح واضحة، وقالت:

- هذه رسائل من الرجل الذي كنت تسألين عنه ليلة أمس.

صعقت من جرأتها، كنت مندهشة مما تقول.

أردفت حديثها وقالت:

- أعرف سليل منذ سنة تقريبًا بعد أيام مريرة كنت أسمع فيها أصوات خافتة كانت تهمس بأذني و تُردد «انعقدت العقدة»، ثم ظهرت لي أولى رسائله وكانت هذه البداية لعلاقتنا، ثم بادلته تلك الرسائل وبهذه الطريقة كنا على تواصل مستمر، وبعدها تعمقت معه وأصبحت أكن له بإحساس خاص.

مددت يدي على إحداها وبالتحديد الرسالة التي كانت تشير إليها وتعنيها شقيقتي، ثم فتحتها وبدأت بقراءتها:

- «حبيبتي هناء ... إن ما سأقوله لكِ الآن هو عبارة عن مشاعر حقيقية، لا أعرف كيف أبوح بها، واكتشفت بأن الرسائل هي الوسيلة الوحيدة التي من خلالها أستطيع التدرج لإطلاعك على حقيقتي، لا تخافي من تصرفاتي التي أقوم بها؛ لأن كل ما أريده أن تطمئني لي، كَوني لا أُشبه عالمكِ، فعائلتنا لها طقوس تختلف عنكم».

لم أفهم ما كانت ترمي إليه تلك الكلمات، ومَن هذا الشخص الذي اقتحم حياة شقيقتي فجأة؟ وما تلك الألغاز التي أقرأها؟

فتحت الرسالة الثانية والذهول يكاد يفتك بي كانت عبارة عن رد من هناء على رسالته:

- «سليل ... لن أنسى تلك الليلة التي ظهرتَ بها أمامي، لا أنكر أنني كنتُ أعيش بحالة من الرعب والخوف، ولا أعرف كيف استطعت التسلل لغرفتي، فاجأتني بوجودك، وبالوقت نفسه فهمتُ أن هناك مشاعر فياضة تنطلق ناحيتكَ تريدكَ، من يومها وعقلي لا يفكر سوى بكَ وقلبي لا يخفق إلا لكَ، وكل ما أريده نك أن تصبر على تصرفاتي حتى أعتاد عليك».

كنت أنظر لها غير مصدقة لما هو مكتوب في هذه الأوراق، هل ما أراه حقيقي؟ صرخت بأعلى صوتي وقلت:

- منذ متى وأنتِ تخفين هذا كله؟

كعادتها كانت صافنة الوجه تنظر لي بشرود، أكملت حديثي

- هناء هل تفهمين معنى ما تقومين به؟

لم تجب على أي من تساؤلاتي، فتحت الورقة الثالثة، وكانت إحدى رسائل ذلك الرجل الذي يُدعى سليل والتي ذكر بها:

- «هناء... الصدفة هي مَا لعبت دورًا كبيرًا في معرفتكِ، كنت أعيش حياتي وسط عالمي بهدوء، وبالمناسبة أريد إخبارك بأنني من عائلة كبيرة بل هي ملكية، وعندما رأيتكِ أول مرة، لم أتمالك نفسي، وكان كل ما فيني يريدك، كونك ذات ملامح جميلة، تُخبئ في طياتها العديد من البوابات التي تلائم هالتي، لم أنسَ الشخص ذاك من عالمكم، الذي أراد أن يسيطر عليكِ من خلالي لكنه لم يعلم بأنني تمردت عليه، احذري هذا الخبيث، إنه لا يكن لكِ نوايا صافية.

«حبيبتي.. هناك من يحسدك كثيرا بسبب جمالك المبهر، وتقبل الناس لك، هم أقرب لك مما تتخيلي، كل ما أريده ان تتقبليني مثلما أنا، وعلامة حضوري هو الهمس، لا أريد أن يكون لقاؤنا الأول عنوانه الخوف».

وبمجرد أن توقفتُ عن القراءة، ابتلعتُ ريقي الذي جف صرخت بوجهها وقلت

- هل قابلتيه؟ كيف هو؟ اوصفي لي شكله.

احتضنتني، وبعدها قالت:

- لم يكن أمامي سوى الرضوخ لسليل، كان هناك أمر خفي يجذبني ناحيته، إنه يسيريني كيفما يشاء، رغم أنني حاولت بالعديد من المرات الهروب من تعلقي به.

دفعتها عن جسمي وقلت:

- وماذا نفعل مع وافقت عليه منذ البداية؟ ذاك الرجل الذي تقدم لخطبتك؟ لماذا

أجابتني بصوت مرهق:

- كنت أعتقد أنني بمجرد موافقتي على الزواج منه سأستطيع التخلص من سليل، لكن لم أكن أعرف بأنني سأفتح على نفسي أبوابًا نارية من جهنم.

سألتها مجددًا:

- وأين كان موعد لقائكم الأول؟

أجابتني:

- لا أستطيع أخبارك بالمكان الذي رأيته به أول مرة، ليس مسموح لي بذكره؛ كي لا أضرك.

أخذتُ نفسًا عميقًا، لا أعرف كيف أتصرف، الحالة التي وصلت لها شقيقتي ليست بالطبيعة، وهذه العلاقة غامضة تحمل خلفها أسرار عديدة.

أخذت إحدى الرسائل التي كانت بجانبي ثم قرأت محتواها والتي كتب بداخلها، عنوان منزل، منزل مَن؟ أتراه المكان الذي يتقابلان به؟ هل هذه الحركة مقصودة أن أعرف مكان لقائهما رغم رفض هناء إخباري به؟

هنا تذكرتُ شيئًا كان غائبًا عني، قذفت الورقة من يدي وفتحت الدرج الذي كان بجانب سريري، الذي اخفيتُ به الورقة التي كانت موجودة بجيبي ليلة أمس، وقارنت بين الخطوط لأكتشف أن الخط لشخص واحد.

نظرت بغضب ناحية هناء وقلت:

- هل لديك أية صورة لسليل؟ أريد معرفة أية معلومة عنه.

قالت وهي تتمايل أمامي بصوت مخنوق:

- الذي أعرفه كله أن اسمه سليل، وهو سليل عائلة ملكية جميل الطلة، أتفاجأ بوجوده في حجرتي بعد تكرار همساته في رأسي، ولا أعرف

كيف يدخلها أو يخرج منها، وبعد كل ... كل ... كل....

ثم سقطت مغمى عليها.

6

كان السهر رفيقي المخلص تلك الليلة، لم تذق عيني طعم النوم، بسبب تلك الرسائل التي أقرأها تارة وأعيد قراءتها تارة أخرى، أنظر لوجه شقيقتي التي -لا تزال- مغمى عليها، أعيد حساباتي، هل أصارح والداي بالحقيقة التي أخفيها عنهما؟ أم أُبقي على صمتي إلى أن أصل لحل هذه الأحجية المعقدة؟ لأنني على علم واضح بأن هناء لو استيقظت ستنكر ما قامت به كله، كونها -لا تزال- غير مدركة لتصرفاتها، هذه الحيرة قد أرهقتني كثيرًا.

أعلم يقينًا أن الوقت يمضي سريعًا، وفي الوقت نفسه موعد زفافها بات وشيكًا، وعليَّ أن أجد حلًّا عاجلًا حتى لا يحصل أمر جديد غير متوقع لا يحمد عقباه، ونسقط جمعينا في غياهب المحظور، إضافة إلى أن التعب والإرهاق بدأ يأخذ من جسمي الكثير، ومن دون شعور غفوت رغمًا عني ولم أستيقظ إلا في العاشرة صباحًا.

التفتُ بسرعة على مكان أختي التي كنت أتوقع إنها -لا تزال- نائمة أو غائبة عن الوعي والمفاجأة أنني لم أجدها، نهضتُ سريعًا متوقعة أنها ستكون في غرفتها لكنني لم أعثر عليها، نزلت للطابق الأرضي لأجد

والدتي تجلس في بهو المنزل مع جارتنا نجاة تلك المرأة التي لا يرتاح لها قلبي، وعندما سألت عنها أكدت لي والدتي إنها -لا تزال- نائمة.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة بسبب تلك الإجابة غير الواضحة، ولم أتفوه بأية كلمة ورحت أبحث عنها في أركان الدار كلها، المصيبة أن لا أثر لها بأي مكان وكأنها تبخرت بالهواء، ولم أتجرأ على البوح بالحقيقة لوالدتي.

في الثمانينيات لم تكن هناك أية طريقة للتواصل إلا عبر اتف الأرضية أو الزيارات، وهذا ما عقَّد الموضوع كثيرًا، كنت د بداخلي وأقول:

- هذه المجنونة أين اختفت؟

ما يزيد الأمر تعقيدًا أن اليوم الذي نحن فيه كان يوم جمعة أي أنه لا يوجد أي مبرر لخروجها سوى الزيارات العائلية وأسرني قليلة الزيارات، كان عليَّ التفكير حثيثًا لا أريد أن أُقلق والداي بشأن أختي المخبولة وتصرفاتها غير المحسوبة، انطلقت لحجرتي أحتاج لبعض الوقت من السكون الذهني لأجد حلًّا مقبولًا، الأمر الوحيد الذي فكرت به تلك الرسائل وبدأت أفتش بها، والمفاجأة الجديلة التي كانت تنتظرني أن الأوراق باتت خاوية من أية كلمة.

نعم كما أقول لكم الرسائل فارغة ولم يكن بها أي حرف، على نقيض ليلة البارحة عندما كانت تتزاحم بالجمل، جن جنوني أنا أمام ألغاز عديدة متشابكة، ما هذا الجنون الذي يحاوطني وضعت يدي على رأسي، لم أجد أمامي أي سبيل آخر سوى إخبار والداي لعلي أجد معهما حلًّا واضحًا يريحني، ويخفف الثقل الكبير من على كاهلي، جمعت الأوراق التي كانت مبعثرة على السرير، لأرى أن هناك ورقة واحدة فقط امتلأت بالكلام، والأدهى أن جميع الرسائل قبل قليل كانت تخلو من أي حرف، كيف يحدث كل ذلك؟ هل عقلي مصاب بلوثة؟ أم أنني بدأت أفقد تركيزي؟ هل ما مررنا به ليلة الأمس كان مجرد كابوس وانتهى اليوم مع أول شعاع طرَق نوافذ منزلنا ؟

الخطاب الذي كان بين يدي يحتوي على حروف مفرقة مرسومة على هيئة فقرة واحدة فقط:

«إ ن.. ك ن ت .. ت ب ح ث ي ن .. ع ... أخ ت ك .. ف هـ ي .. م و ج و د ة.. ف ي .. هـ ذا .. ال ع ن و ان» وذيل بالعنوان على النمط نفسه والذي كان بمنطقة خيطان.

في البداية اعتقدتُ أنه يتلاعب بي ويريد منى حل هذا اللغز لكن هناك شيء غريب لاحظته أن الخط الذي

رسمت به هذه الحروف يختلف الاختلاف كله عن الخط السابق في الرسائل، وفهمت أنه يحاول أن يدعوني لمنزله، نعم منزله كما تقرؤون بدأن أقرأ بنَهم وأثناء مواصلتي اكتشفت أن المدعو سليل خبيث ويحاول إقحامي بتلك المهزلة، أخرجت ورقة وقلم وسجلت عنوانه.

أجل ... كما توارد على أذهانكم، قررت الذهاب لذاك الموقع لعلي أجد شيئًا جديدًا يفك عقد تلك الألغاز، ارتديت ملابسي على عجالة، وهرولت على السلم نزولًا لأجد والدتي -لا تزال- تجلس مع تلك الجارة التي لا تفارقها، رأتني مرتدية ملابس الخروج وسألتني كما هي عادة الأمهات، بررتُ لها أنني أريد الذهاب لمركز التسوق القريب من منزلنا معللة ذلك باحتياجي لشراء بعض الحاجيات، وقبل خروجي قلت لوالدتي تلك الجملة:

- علينا تأجيل حفل زفاف هناء، الأوضاع الحالية لا تسمح لإقامته بموعده المحدد.

بانت معالم الدهشة على وجه والدتي التي صمتت قليلًا ثم قالت:

- لا يمكننا التأجيل في الوقت الراهن، هذا الأمر مستحيل فعقد قرانها بعد يومين والدعوات قد أرسلت ومن الصعب التراجع عنها.

لم يعجبني رد والدتي وقلت بعصبية

- وهل ترين يا أمي أن هناء بحالة طبيعية ومستقرة؟ إنها تتصرف بطريقة غير سوية، والأحداث التي طرأت على حياتنا مؤخرًا من الممكن أن تتكرر، على الأقل ننتظر بعد أن تخرج نتائج الفحوصات، لا نريد أن تتراجع حالتها الصحية في حفل الخطوبة وتعكر صفوها.

بهذا الوقت نطقت الجارة البغيضة قائلة:

- سلمى يا عزيزتي... هذه ليست حفلة عيد ميلاد أو دعوة عشاء صغيرة، إنه حفل عقد قران، وأرى أن والدتكِ معها الحق بذلك.

أجبتها ببرود:

- إذا كنتِ ترين أن الأمر مرتبط بالرسميات نستطيع تداركها، وعذرنا معنا؛ شقيقتي تعاني من مرض ما.

ابتسمت ابتسامة صفراء وقالت:

- لا تقلقي فهذا مرتبط بدلع البنات لا تشغلي بالكِ كثيرًا معها فهي بخير، وضعي في حسبانكِ أن الزواج قسمة ونصيب ونصيبك لم يأتِ بعد حتى الآن اتركي هذا كله إلى الله الذي سيسهلها، الحفل لن يطول كثيرًا إنه مجرد بضع ساعات قليلة، وبعدها تكون تحت مسؤولية زوجها، فقط المطلوب منكِ أن تكونين على أهبة الاستعداد لتدارك أية مفاجأة غير متوقعة.

بعد ردها هذا، غَلَت الدماء في عروقي، فهمت ما ترمي به تلك العجوز التي تكبر أمي بعشرات السنين، إنها تريد إغاظني بتلك الجملة كوني لم أتزوج حتى الآن، وتعتبر أن رغبتي في تأجيل الحفل كانت نابعة بسبب غيرتي من زواج أختي.

وجَّهت نظراتي الحادة لتلك المجنونة، واحترمت وجود أمي الذي حال بيني وبين الرد عليها بكلمات تليق بتفكيرها المنحط استأذنتهما ثم استدرت ناحية باب الخروج، رغم أن صدري ولساني يحملان بداخلهما العديد من الشتائم الفريدة من نوعها.

بمجرد وصولي لسيارتي، أخذت نفسًا عميقًا، وأنا أتذكر أن أمامي مهمة صعبة؛ وهي البحث عن تلك المجنونة، التي -لا تزال- تتصرف بغرابة شديدة،

حاولتُ نسيان ما جرى معي كله قبل قليل وركزت على اتزاني لإتمام مهمتي..

لم يكن عنوان المنزل المدون بالرسائل بعيدًا، لا أنكر أنني كنتُ مرتبكة كثيرًا، وطوال الطريق أرسم برأسي العديد من السيناريوهات المرعبة، وعندما وصلت للضاحية بدأت أبحث بشوارعها عن العنوان، وما هي إلا دقائق حتى وصلت للهدف المنشود.

كان البيت ذو عمران قديم نسبيًّا، ولم تكن هناك أية سيارة تقف بجانبه، لم يكن ما أراه سوى بيت عتيق وعلى ما يبدو أنه مهجورًا، كما هو واضح أمامي، فكرت قليلًا كيف لإنسان أن يعيش هنا، من الممكن أن يكون ذو حالة مادية سيئة ومتدنية، العديد من التساؤلات طرقت رأسي، ولم أجد لها أية إجابة، وكنتُ على يقين أن الإجابات كلها موجودة خلف أسوار هذه الدار.

ترجّلت من مركبتي بتردد، كنت أنظر بريبة للمدخل، وبعد دقيقة أو دقيقتين على ما أذكر تسلحت ببعض من الشجاعة وطرقت الباب، انتظرت وانتظرت ثم طرقته مرة أخرى ولا إجابة أيضًا، شككت في البداية أن المَسكن الذي أقف أمامه خاطئ، فتحت الورقة التي كانت معي، قرأت العنوان مرة أخرى، قارنت

الارقام الموجودة على الشارع مع المدونة في الورقة، كل ما هو مذكور بها صحيح قطاع المنطقة ورقم الشارع والبيت، إذن أين الخطام

هل أعود أدارجي؟ ليس أمامي سوى هذا الحل، صعدت السيارة وبدأت أنظر للنوافذ الخارجية للدار التي كانت معتمة تمامًا، أدرتُ المحرك، وبداخلي رغبة في البقاء، بينما ما تراه عيني كله يدعو للرحيل، وقبل أن أنطلق لفت انتباهي شخص يقف أمام النافذة التي كانت بالدور الأول، كأنه ينظر لي وبعدها اختفى هل ما تراه عيني حقيقي، أم ما زالت اللوثة العقلية تنخر رأسي، أوقفت محرك السيارة، وذهبت مرة أخرى إلى الباب وطرقته. لكن لا أجابه، عيني أكدت لي أن هناك مَن يسكن هنا وبعد نقاد صبري وقلة حيلتي، قلت وأنا على يقين بأن اليأس يحاوطني من الاتجاهات كلها:

- استغفر الله... لا إله الا الله ... متى ستنتهي تلك اللعبة السمجة؟

وما أن انتهيت من جملتي تلك، حتى سمعت ضجة من داخل هذا البيت، قفز قلبي من صدري، وبعدها فُتح الباب بطريقة غريبة وسريعة دفعة واحدة، كأنه

تعرض لضغط انفجار من الداخل أدى الى فتحه هكذا، الأمر الذي أثار خوفي وجعلني أتراجع للوراء.

ابتلعت ريقي بصعوبة بالغة، أصبحت السبل كلها مفتوحة أمامي، ولا شيء يمنعني من الدخول لهذا المكان الغريب، وبعد تردد ليس بطويل تقدمت بخطوات بطيئة متجاوزة الباب الأمامي لأجد نفسي خلف سوره قلت هنا:

- هل يوجد أحد هنا؟

انتظرت قليلًا أريد إجابة، لم أسمع ردًّا من أي مخلوق، فقط السكون هو مَا يطبق إحكامه على المكان، هل مَن يسكنون هذا المقام من الصم الباب الخشبي الرئيسي للمنزل مفتوح كسابقه، الخوف بدأ يملأ جسمي بطريقة تدريجية، كيف لي أن أدخل من دون استئذان، فكرت طويلًا ومرت أكثر من خمس دقائق وأنا واقفة، قدماي غير قادرتين على حملي، تشجعت وتقدمت إلى أن وصلت عند عتبة الباب، مددت رأسي بهدوء، المكان بالداخل كان شبه مظلم ولا ينيره سوى ضوء الشمس القادم من الخارج، وقلت مرة أخرى:

- يا أهل الدار... هل يوجد أحد؟

لم تكن هناك أية إجابة، فكرت قليلًا وقلت: هل أعود أدراجي؟ لا أريد أن أقع في المحظور، من المعيب دخول منازل الناس بهذه الطريقة، وأنا على هذا الحال سمعت اصوات ممتزجة لرجل وامرأة يتحدثان، قادم من الدور الأول، أيقنت أن هذا المنزل مسكون وبه بشر، وهو ما جعلني أتجرأ وأدخل، وأنادى على اسم أختي:

- هنااا.... هنااء يا أختي... هل أنتِ هنا؟

وبمجرد أن نطقت الاسم عاد السكون مرة أخرى، أية لعبة تلعبينها معي يا هناء مع هذا المجنون الذي يدعى سليل.

حالة التوتر التي كنتُ عليها بدأت تختفي تدريجيًّا، المكان الذي أنا به شبه خال، إلا من بعض الأثاث القديم، والصوت الذي سمعته كان قادمًا من الطابق الأول، عقدت العزم على الصعود قلت لعل هذا المعتوه قد قام باختطافها وهي محجوزة في الدور العلوي وتحاول الاستغاثة وهو مَن يمنعها، هذا الأمر الوحيد الذي طرأ برأسي وقتها، لا جديد فالوضع هنا يشبة الطابق الأرضي، أثاث بسيط مبعثر وغير منظم، تغطيه كمية كبيرة من الغبار والأتربة، كأن

أحدهم قرر المعيشة به لكنه عدل عن هذه الفكرة لاحقًا.

بدأتُ بالمناداة باسم أختي مجددًا، وكنت أدور ما بين الغرف الموجودة بهذا الدور، ليعود صوت المحادثة مرة أخرى وبالطريقة نفسها، تسمرت بمكاني أريد التأكد مما أسمع، لا ... لا أستطيع فهم ما يقال، الجمل غير واضحة، والصوت قادم من الغرفة التي يقع بابها أمامي، انطلقت مسرعة ومن دون تردد، وقفت قليلًا قبل الدخول، مددت رأسي ووضعته على الباب أريد سماع ما يدور خلفه، توقفت الضوضاء من جديد وفهمت أن نافذة هذه الغرفة هى التي كانت تطل على الشارع، وكان أحدهم يقف خلفها عندما كنت في مركبتي عازمة على العودة للمنزل ثم اختفى، فتحتها بسرعة كي لا أتيح لهم الهروب مرة أخرى، اتضحت معالم الغرفة البسيطة، حيطان بيضاء وستارة خضراء وكرسي وسرير قديم مع هذا المشهد الذي جعلني أقف مصعوقة.

كان المنظر الذي أمامي غير متوقع، ولم أفكر به ولا لحظة كانت أختي هناء أمامي، لكنها بوضع مزري، فجسمها عاري تمامًا، تقف أمام النافذة تحاول إخفاء

ملامح جسمها بيدها، لا تدري إلى أي اتجاه تسير، صرخت بأعلى صوتي:

- ماذا تفعلين هنا؟ ولماذا أنتِ بهذا الوضع غير اللائق؟

وبدأت أقذفها بالشتائم، كونها بحالة غير مرضية، لا يقبلها أي عقل.

ما إن سمعت صوتي حتى التفت لي ثم انطلقت بسرعة كبيرة، واحتضنتني وراحت تبكي وهي تردد:

- لن يتركني يا سلمى ... لن يتركني ما حييت.

قلت لها وأنا أقوم بخلع عباءتي محاولة تغطية جسمها:

- هل تقصدين المدعو سليل، هل فعل بكِ شيئًا؟

نظرت لي بعينين ممتلئتين بالدموع وقالت:

- لقد فات الأوان، أصبح هو المتحكم.

قلت لها هنا:

- ماذا تقصدين بفوات الأوان، هل فعلتِ شيئًا أحمق معه؟

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- ما يجري لن يتحمله عقلكِ، سليل بيده كل شيء، ولن نقدر على صده.

صرخت عليها وانا أقوم بلفها بعباءتي وتغطيتها بشكل كامل:

- البلد بها قانون، أيظن هذا المعتوه أنه قادر على فرض سيطرته عليكِ، ويتصرف كما يحلو له؟

قالت بصوت يائس:

- فقدت الأمل، كنت أحاول وأحاول قبل أن تطلبي مني ذلك، ولم أجد أي سبيل للخلاص منه.

رددت عليها صارخة:

- استغفري ربكِ، وقولي لا إله إلا الله، وتعوذي من الشيطان.

وما أن نطقت بتلك الكلمات حتى وضعت هناء يدها على فمي وقالت:

- توقفي أرجوكِ، أنت لا تعلمين ماذا يحدث، لا يريدون سماع ما تفوهتِ به.

بهذا الوقت سمعت أنغام موسيقية تقترب من أذُنيّ، أعرف هذه الألحان جيدًا، إنها... إنها (مسحور).

نعم إنها الأغنية التي كنت قد سمعتها بغرفة هناء قبل يومين.

الصوت كان قريبًا مني كثيرًا، كنتُ التفت بسرعة واضطراب حول نفسي أريد معرفة من أي مكان تصدح هذه الاغنية وبالحقيقة أشعر به كأنه قريب من اذنى عبدالله رويشد كان يردد تلك الأغنية مسحور، لكن من أين؟ أكاد أجن.

بدأت بقراءة المعوذات، وأذكر الله مع ترديد الحوقلة والبسملة، لا أدري ماذا أفعل غير ذلك فالوضع هنا مريب.

دقائق حتى توقف هذا الهرج، هدوء متعب وثقيل على النفس ومن ثَم حدث ما لم يكن بالحسبان.

علا صوت زمجرة خشنة بالغرفة كأن أحدهم غاضب، بدأت أدور برأسي باحثة عن مكان الصوت، ثم بعد برهة من الزمن رأيت شيئًا آخر غريبًا بالمكان دخان أسود يدخل من الباب، يسبح بسرعة كبيرة، دفعتني هناء بعيدًا عنها، تراجعت للوراء كأنها لا تريد الالتصاق بي، الدخان الأسود الذي كان يطير فوقنا هبط على جسم شقيقتي ثم بدأ يلتف حولها كثعبان جائع، ثوانٍ ليغطي جسمها بالكامل وسط استسلامها التام لم تبدِ أية مقاومة، تقدمتُ إليها محاولة

إنقاذها، لكني شعرت بقوة هائلة تمنعني من التقدم نحوها، ثم بعد ذلك استحكم الدخان الأسود جسمها بالكامل بالكاد كنت أراها، بدأت أردد المعوذات وأبسمل وأحوقل، هنا بدأ الكيان يتلاشى مبتعدًا بطريقة لا يصدقها العاقل، كان يدخل بفم أختي ولم يتبق منه أي شيء بعد أن غاص بجوفها.

كنت أنظر مذهولة ومرعوبة، لا أعرف كيف أتصرف، وبعدها سمعت الصوت الخشن الذي سمعته أول مرة وهو يقول:

- لن تعود كما كانت هناك من عبث، وفتح بوابة الجسم من دون أن يعلم أحد، هي لي الآن، هي ملكي وحدي ولن نفترق حتى وإن اجتمعت قوى العالمين معًا لتفريقنا.

غاب الصوت المرعب، بينما أختي كانت ساكنة بمكانها، ومن دون شعور مددت يدي وقمت بسحبها وجرها جرًّا، كانت كالخرقة البالية، سترتها جيدًا بعباءتي وأخذتها معي هاربِين من ذاك الجحيم، كنت أسحبها بسبب صعوبة حركتها إلى أن وصلنا للسيارة، أدخلتها بسرعة، وقبل أن أصعد رأيت أحدهم يقف أمامي؛ كان رجلًا في العقد الثالث من عمره ينظر لي بحدة وهو يقول:

- هل كنتِ داخل هذا المنزل قبل قليل؟

ارتبكت من سؤاله، كوني بحالة غير متزنة، وأجبته:

- لا ... لم أدخل هنا، بل كنت واقفة أنظر له ظنًا مني أنه معروض للبيع.

رد عليَّ وملامح الإرتياح ارتسمت على وجهه:

- الحمد الله.

سألته قائلة وأنا أحاول ترتيب نفسي من الداخل:

- مَن صاحب هذه الدار؟

ابتسم وقال:

- الجن.

اتسعت حدقتا عيني وقلت:

- ماذا؟ الجن، ماذا تقول؟

أجابني بهدوء وقال:

- هذا البيت مشهور بالشارع بأنه مسكون من الجن، ولا يقطنه أحد منذ سنين، وأي أحد يشتريه وينتقل للعيش به يهرب بسبب الحوادث الغريبة والأصوات غير المفهومة التي يسمعونها كل ليلة، لا أنصحك بشرائه أو تأجيره، فالقصص التي تدور عليه كثيرة، ولم يتحمل أحد

المكوث فيه أكثر من يومين، لا تفكري به هذه نصيحتي لكِ.

وبعد أن سمعت جملته تلك لم أجبه وصعدت سيارتي بسرعة، وقلبي يتراقص بداخلي من الهلع، وانطلقت إلى منزلنا.

7

لم أكن أتصور أنني بيوم من الأيام سأعيش أحداث مخيفة مثل هذه، ترددت كثيرًا قبل دخولي المسكني، لا أعرف بماذا سأجيب والديّ لو سألاني عن سبب خروجي، وعن حالة هناء المزرية التي كانت عليها، أفكر وأرتب ما جرى كله وعقلي يكاد أن ينفجر، بينما -لا تزال- شقيقتي فاقدة الوعي، ولم أصل إلا لنتيجة واحدة بأن هذه المسكينة قد مسها الشيطان، وكل ما يحصل لها هو عبارة عن ألاعيب الجن الذي يسيطر عليها، وبدأ يتحكم بها كيفما يشاء، لكن كيف حدث هذا ؟ ومتى؟ لا أعلم... والسؤال الأهم لماذا هي بالذات؟

رفعت يدي أنظر إلى ساعتي أريد معرفة الوقت، وكانت هنا الصاعقة الثانية التي أصابت رأسي، إنها الخامسة عصرًا! عقدت حاجبي من المفاجأة، أريد استيعاب ما تراه عيني، لقد خرجت من البيت نحو العاشرة صباحًا، هل من المعقول أنني غبت هذا الوقت كله ولم أدرك ذلك؟ أم أن ساعتي معطلة؟ نظرت ناحية الأفق، يا إلهي! إن ما تراه عيني حقيقي، الشمس مائلة للغروب، مستحيل كيف لم أشعر بهذا الوقت كله وهو يمر سريعًا!

كنت مترددة في بادئ الأمر بإخبار والديّ بما جرى، ولكن هذه المرة لا سبيل لإخفاء الحقائق وعليهما معرفة الحقيقة الكاملة، وقبل خروجي من مركبتي رأيت والدي يقف أمام باب البيت الداخلي وحينما لمحني انطلق ناحيتي بوجه يملؤه الغضب

- أين كنتما طوال هذا الوقت؟

نظرت له، وعيناي غائرتان من التعب

- بالداخل سأخبرك بحيثيات ما جرى لنا القصة طويلة وتحتاج للشرح الكثير، المكان الذي نحن به غير صالح للتبرير.

لم يهتم أبي لجملتي تلك، وراح يتمتم بكلمات ويشتم ويتوعد، لا ألومه على ما يفعل، فهو في نهاية الأمر أب ومسؤليته الخوف علينا وحمايتنا، كما أن الحق معه كونه لا يعلم أين كنا لأكثر من ست ساعات طلبت منه مساعدتي في إخراج هناء المغمى عليها، هذا المشهد أوقف حرب أبي الكلامية، وصدم بعد أن رأها، ثم سألني:

- ما الذي حدث لها، هل عادت لها حالة التشنج؟

لم أجبه ومضيت مسرعة إلى الداخل، لأجد والدتي تقف بغضب هي الأخرى لكنها كانت أخف حدة من

والدي، تريد إجابات واضحة وصريحة عن سبب غيابنا الطويل.

جلست على أحد الكراسي في غرفة المعيشة، ثم أخذت كوب ماء وشربته بسرعة دفعة واحدة فقد كان حلقي جافًا، وبدأت حالة الإنهاك الجسدي تظهر على ملامحي، هنا قال أبي:

- هل كنتما في المستشفى؟

هززت رأسي بالنفي، ثم أردف حديثه بسؤال آخر وقال:

- أختك بحالة سيئة، ويبدو أن اعتلالها قد تمكن منها، وقبل هذا كله أريد معرفة أين كنتما، ولما تأخرتما هذا التأخير كله، جاوبيني بالله عليك، فأعصابي لم تعد تتحمل.

أجبته بصوت متعب:

- مرض أختي، دواءه ليس بالمستشفى كما تزعم، وسأشرح لك الموضوع كله، لكن أرجوكَ يا أبي دعني ألتقط أنفاسي، فما مررنا به هو الرعب بعينه.

بدأ ينظر والدي لأمي مستغربًا مما أقول، ثم قال:

- سلمى... لما هذا الغموض؟ نريد إجابات واضحة وصريحة، أريحي قلبي لم أعد أتحمل وبدأت أفقد أعصابي.

أخذت نفسًا عميقًا وقلت لأبي:

- ابحث عن شيخ دين يعرف جيدًا كيف يتعامل مع حالات المس.

كان كلامي كسيل من الصخور التي تدحرجت من أعلى الجبل وقعت على رأسيهما، ليقول أبي:

- هل عقلكِ يعاني من مشكلة ما؟ وكيف شخّصتِ حالة أختكِ بهذه السهولة كلها؟

رددت عليه:

- صدقني... ابنتكَ تعاني من مسٍّ شيطانيٍّ، وهو ما يجعلها وأريد التأكد تظهر بهذا الحال، هناك أشياء لم أخبر كما بها، كنت مترددة من شكوكي، لكن اليوم أيقنت أنها تعاني مما ذكرت المستشفى لن تفيدكما وسأثبت لكما صحة كلامي.

وبعدها رحت أخبرهم بالأحداث كلها التي كنت أخبئها عنهما، منذ سماعي صوت الرجل الأجش بغرفتها، والأمور الغريبة التي جرت لنا بعد ذلك

وصولًا إلى يوم ذهابي للمنزل الذي وجدتها به، لكن ما جعلني أدخل بدوامة من الحزن جملة والدتي التي كانت غير مصدقة لما أقوله، وقالت لي بالحرف الواحد:

- على ما أعتقد ما ذكرتيه كله هو مجرد أوهام صنعها لكِ عقلك المريض، بسبب غيرتكِ من أختكِ المقبلة على عقد قرانها، النساء جميعهن هكذا، بعض الأحيان الغيرة تجعلهم يفكرون بطرق خبيثة.

كانت كلماتها تلك كالسكين التي غُرست بقلبي، لا أنكر أنني كنت أغبطها ولكن لم يكن للحسد أي حيز في قلبي ولو مثقال ذرة، نظرت لها بألم دون أن أجيبها.

هنا صرخ والدي بوجه أمي وقال:

- عن أية غيرة تتحدثين يا امرأة، عينا سلمى لا تكذب، ومن المستحيل أن يكون ما ذكرته كله من نسج الخيال.

لم تُعجب أمي برد أبي الحاسم ثم أكملتُ حديثي وقلتُ:

- لا بد من تأجيل حفل زفافها، وعلينا إيجاد حلول سريعة.

وما أن انتهيت من جملتي حتى سمعت صوت الهاتف الأرضي الذي كان بجانبي يرن، أجبته:

- مَن تظنون أنهم قادرون على مساعدتكم لن يستطيعوا ردعي عما أنا عازم على فعله، ولن يحركوا أية شعرة بجسمي، شيوخكم غير قادرين على إيقافي، ما ستسمعين بعد قليل هو مجرد البداية، وإذا استمريتم على هذا الحال ستدخلون بمتاهات معقدة أولها الألم وآخرها السقم.

ثم ظهرت من العدم ألحان بتُّ أحفظها وأخافها مع ترديد كلمة مسحور بشكل بشع.

قذفتُ السماعة من يدي بسرعة فور انتهائه من جملته، وكنتُ أنظر بكل جزع لوجه والدي، الذي سألني:

- لما هذا الرعب كله الذي ظهر على وجهكِ؟ مع مَن كنتِ تتحدثين؟

أجبته وأنا أرتعد من الخوف:

- إنه سليل ... إنه سليل ... ذلك المخلوق الذي يسيطر على جسم هناء، إنني أعرف نبرة صوته جيدًا لا أخطئها أبدًا.

أخذ والدي السماعة من يدي وبدأ يقول:

- ألو... ألو...

لم يجب عليه أحد، وفهم أن الخط قد انقطع.

ران الصمت قليلًا، وبعدها قالت والدتي:

- ألم أقل لكَ إن ابنتكَ هي المصابة بهذا المس الشيطاني، إذا كنت تريد إيجاد علاج عليكَ البدء بسلمى، يبدو أن عقلها أصابته لوثة بسبب نفور العرسان منها.

نهرها أبي وقال:

- كفى يا سلوى.

ثم التفت إليَّ وقال:

- كيف عرفتِ أنه الشخص الذي تتدعين، وماذا قال لكِ؟

قلت له وصوتي يرتجف:

- أعرف نبرته جيدًا، أنا الوحيدة التي. سمعته منكم، الأمر أكبر مما تتصورون، علينا إيجاد حلًّا سريعًا، نجاة أختي مرتبط بالشيوخ الروحانين.

عاد الهاتف للرنين مرة أخرى، ابتعدت عنه أ لم أكن أريد الإجابة، تقدم أبي ناحيته ثم أجاب:

وبعد دقائق قليلة أغلق أبي الهاتف، هنا قلت:

- ماذا قال لكَ هذا الشيطان؟ هل هددكَ بشيء؟

جلس والدي وهو بحالة من الدهشة ثم قال:

- إنه والد خطيب هناء، أخبرني أن ولده نقل إلى المستشفى بسبب وعكة صحية مفاجئة حدثت له، ويطلب ما تأجيل حفل عقد القران.

حالة من الذهول التي حلت على رؤوسنا جميعًا، هنا أقتنع والدي وفهم أن ما يجري كله ليس بالأمر الطبيعي، ثم قال:

- سأجري اتصالاتي لإيجاد شيخ موثوق به وعلينا نقيل هناء إليه.

أفاقت أختي من إغماءتها بعد إنهاء والدي جملته وهي تتأوه، قائلة بوهن واضح في طريقة كلامها:

- هل عاد ذلك اللعين مرة أخرى؟ ألم أقل لك يا سلمى إنه لن يتركني جسمي من الداخل منهك أشَعر بأعياء شديد.

8

كانت ليلة ليلاء كما يقولون من شدة سوادها، طلب مني والدي أن أبيت في غرفة شقيقتي لمراقبتها إلى أن يجد شيخ دين مشهود له بالثقة، رغم رفضي فكرة البقاء معها في بادئ الأمر كي لا أخوض معارك ضروس مع تلك الكوابيس الحية، وفي الوقت نفسه كنت مجبرة على المبيت عندها كونها رفضت وجود والديّ معها.

كانت هناء متعبة والأعياء يسري في عروقها كحمم بركانية، تارة ترى حرارتها قد ارتفعت بلا مبرر، وتارة تأن من ألم وتقول إنه قادم من بطنها أو من رأسها مرة أخرى، العرق ينضح من أعلى جسمها وينصب صبًا، كأنها تجلس عند فوهة تنور، تتردد على دورة المياه كثيرًا، وطوال هذا الوقت كان صوت القرآن قائمًا مستمرًا لم يتوقف ولو لدقيقة.

أذكر جيدًا كيف كانت تصرخ عندما تسمعه، وكثيرًا ما تطلب منا إيقافه، وسط رفضي أنا وأبي، وتقول إنها تزداد عذابًا فوق عذابها عند سماعها له، وفي بعض الأحيان تعارض قولها السابق عندما تكون في قمة إعيائها أو بعد إفاقتها من إغماءاتها القصيرة وبصوت

متعب إنها ترتاح بسماع كلام الله مرتلًا يا لهذا التناقض العجيب الذي أعيشه مع هذه الفتاة

بعد أسبوع من حادثة ذاك المسكن أصبح بيتنا مزارًا لشيوخ الدين الذين يدخلون وهم واثقين من قدراتهم على إنقاذ أختي، وبعد ساعات قليلة يخرجون وهم منكّسين رؤوسهم بعد هزيمتهم النكراء بسبب ما واجهوه، أذكر أن أحدهم قال لأبي:

- إن ما نتعامل معه هو الشيطان الخبيث بنفسه، يتلاعب بنا ويستمتع بتعبنا، والأدهى أنه كان يسخر منا طوال الوقت يطلب منا الاستمرار بقراءة القرآن، كونه لا يتأثر بما نقوم به، ويقول على لسان ابنتك بأننا جميعًا لا نحمل بين أضلعنا الإخلاص، ونهاية عملنا خسائر نكراء أمامه، وكم هو يستمتع بسماعه للقرآن الكريم ويطلب منا الاستمرار بسخرية، وأن كل ما نفعله لن يؤثر به.

وعلى الرغم من هذه المآسي كلها التي تحدث، إلا أن تلك المواقف لم تخل من الأفعال المضحكة والمخيفة بالوقت نفسه ذات يوم كنا نجلس أنا ووالدتي وجارتنا التي أكرهها بغرفة شقيقتي، وكان جهاز التسجيل يعمل بديمومة متواصلة من شريط

القرآن كما هي العادة، بينما كان الجميع صامتًا، وصوت الشيخ يصدح ما ترتل من آيات كريمة، فجأة توقف كل شيء، ظننا في البداية أن خطب ما أصاب الجهاز، نهضت أريد معرفة ما المشكلة بعدها سمعنا صوتًا يضحك قادم منه، واظب على الضحك لأكثر من عشر ثوان، ثم قال بعدها:

- استمروا استمروا لن تصلوا لأية نتيجة؟

وما أن انتهى من جملته تلك، انطلقت بعدها الأغنية التي على ما أعتقد أن مَن يسكنون جسم أختي يحبونها، وأظن -أيضًا- أنكم جميعًا عرفتموها، إنها أغنية مسحور.

لا أنسى وجه جارتنا نجاة الذي ذاب من الخوف، والصدمة التي علت محيا والدتي من شدة الرعب وعقدت لسانيهما، وبعد دقيقة من الصدمة أوقفت جهاز التسجيل، كوني قد اعتدت على مثل هذه المواقف، وأعدت تشغيل القرآن الكريم، ثم قالت نجاة:

- لم يمر عليَّ بحياتي موقف مخيف مثل هذا، مَن قام بتغير شريط الكاسيت من القرآن لعبد الله رويشد، هل ما حدث حقيقي؟ هل هناك أحد معنا؟

بدأت بالالتفاف حول نفسها تبحث عن شخص آخر غيرنا والنتيجة سلبية.

بعدها طلبت الاستئذان وخرجت هاربة تجر وراءها أذيال الهلع، لا أخفى عليكم ابتسمت بداخلي وكنت مستمتعة بخوفها وكنت دائمًا ما أطلب منها الوجود معنا لتشد من أزر أمي، وكثيرًا ما أتركها متعمدة بغرفة هناء، وما أن أغيب أحدها خلفي تردد اعذار مضحكة كي تتحاشى البقاء في منزلنا.

أسبوعان وحالة أختي تزداد سوءًا يوم بعد يوم، أحيانًا تنتابها حالة إعياء شديدة بالكاد تستطيع بلع ريقها، وأحيانًا أخرى تراها مرعبة كالعفاريت وبكامل نشاطها بل إنها قوة على قوتها وكأنها بطلة من الأبطال الخارقين، أذكر في يوم من الأيام وأنا متجهة لحجرتي مررت بأخي الصغير بسَّام، طرقت باب غرفته ولم أجد منه ردًّا ، لكنني كنت أسمع صوت بكاء مكتوم من الداخل، ارتعدت فرائصي حينها وقلت في نفسي (ها نحن نبدأ من جديد، هذه الدوامة أزلية ولن تنتهي) ظنًّا مني أن هناء تنتابها الحالة المجنونة.

وما أن دخلت لأجد المكان مظلم وصوت النحيب كان أكثر وضوحًا من ذي قبل، سارعت لإشعال الأنوار لأرى بسَّام متكورًا على نفسه ومنزويًا في أحد

أركان الغرفة وهو يرتجف، توجهت ناحيته ووضعت يدي على رأسه ليقفز من مكانه بفزع وهو يقول:

- أرجوكِ يا هناء ابتعدي عني.

أخذته وضممته أحاول تهدئته وأنا أسأله:

- ما بالكَ يا حبيبي؟ لما أنتَ خائف هكذا؟

نظر لي وعيناه حمراوين والدموع تغرقهما، حاولت مسحهما بكفي يدي وأنا أقبل رأسه، وأردد:

- لا تخف يا بسَّام، فأنا معكَ ولن أتركَ، فقط أعلمني ما الذي أوصلكَ لهذه الحالة؟

حاول الملمة شتات نفسه المبعثرة، واستجمع قوته ليقول لي:

- منذ ما يقارب الثلاث ساعات عدت إلى المنزل بعد أن فزت بمباراة كرة القدم على فريق الحي المجاور، وأنا في قمة سعادتي ألقيت التحية على والدتي التي ما أن رأتني حتى أمرتني للذهاب لدورة المياه للاستحمام، بسبب مظهري ورائحة جسمي الكريهة من اللعب، ابتسمت بوجهها وارتقيت للطابق الأول متوجهًا للحمام.

سكت للحظات ليلتقط أنفاسه، وقلت له:

- إلى الآن لم أسمع منكَ ما يثير هذا الرعب كله.

بلع ريقه بصعوبة وهو يقول بصوت مرتجف

- لم تنتهِ المسألة عند هذا الحد، بل ما سأقصه عليك هو الهول بعينه بعد أن وصلت للدور الأول فكرت فى الاطمئنان على هناء وهذا ما فعلته وليتني لم أقم بذلك.

رددت عليه وقشعريرة التوجس تسري بجسمي:

- ماذا حدث؟ ما الذي فعلتَه معها؟ أخبرني بالله عليكَ.

أكمل حديثه قائلًا:

- فتحت باب حجرتها بهدوء دون أن أطرقه كعادتي، رأيتها تجلس أمام المرآة وهي تسرح شعرها وتنظر بشرود، ثم نطقت بصوت غريب لم يكن لها وهي تقول: «أهلًا بصغيري المشاكس» ابتسمت وأخبرتها بأنني مشتاق لها وإنني جئت فقط للاطمئنان عليها، التفتت لي وبان الغضب في عينيها وفجأة تغير المشهد كله من حولي، أظلم المكان دون سابق إنذار، وبدأ جسمها بإطلاق وهج غريب ساخن وأصوات همس غير مفهومة انتشرت في أرجاء المكان، ثم

وجدتها تطوق رقبتي بيدين خشنتي الملمس وغرزت بعض أظافرها الطويلة في جلدي وكادت أن تقتلعه، وهي «تردد ابتعدوا عنها ... إنها لي.... لي وحدي... هي ملكي الآن... ابتعدوا وإلا أهلكتكم».

حاولت التملص من قبضتها المتمكنة من رقبتي، لكن دون جدوى حتى أحسست بأن أنفاسي بدأت تتلاشى، وقتها فكرت بأنني هالك لا محالة إن استسلمت لها، فقمت برفسها بقوتي كلها على بطنها واختل توازنها ثم قررتُ منها هاربًا إلى هنا.

قمت بجذبه إلى حضني وأنا أقرأ عليه بعضًا من الآيات القرآنية ثم أمسكته من يده وذهبت معه لحجرة والديّ، وقصَّ عليهما بسَّام ما قد جرى بينه وبين هناء.

وفي يوم من تلك الأيام التعيسة، جلب والدي شيخًا معروفًا ومتمرسًا بهذه الأمور، وبالفعل استطاع التحدث يومها مع سليل وهو الوحيد الذي تمكّن من استخراج بعض المعلومات المفيدة منه، بعدها قال لوالدي:

- مشكلة ابنتكَ حلها ليست بيد أي شيخ من الشيوخ لأن من يستحوذ على جسمها جن من

فئة الملوك، له مكانته وقامته بذلك العالم، وهذا النوع يعرف جيدًا كيف يتعامل معنا؛ بل إنه لا يتأثر بل العكس يزداد جبروته وعناده، ويصد ما نقوم به كله خبيث ماكر ماهر ولديه أعوان، لا بد من التواصل مع الساحر الذي عقد عقدته على ابنتكَ، وجعل من هذا الشيطان مسيطرًا عليها.

تأثر أبي كثيرًا بما قاله شيخ الدين، ثم استأنف حديثه قائلًا:

- عليكم الإسراع في إيجاد ساحر أو روحاني يعرف كيف يتعامل مع مثل هذه الأمور، رغم أنني ضد التعامل مع مثل هذه النوعية من البشر، ولن ألومكَ كونكَ مضطر.

قال أبي للشيخ:

- لا أعرف أي شخص بمثل هذه المواصفات.

صمت الشيخ وأكمل حديثه:

- أعرف أحدهم، وليسامحني الله على ما سأفعل.

قام هذا الشيخ بإخبار والدي بمكان الروحاني، وطلب منه أن يقوم بالمهمة فقط وعدم الدخول أو تنفيذ أي مطلب يطلب منه، فهؤلاء الأشخاص ماكرين لا

يفكرون سوى بمصالحهم الشخصية، وربما يضمرون لك الشر، ولا أستبعد بأنهم سيضرونكم لو شعروا أنك تريد إيذاءهم أو لا تثق بهم.

كانت الأيام تمر بطيئة مغلفة بالقلق والحزن، نظرًا لما نراه من تدهور لصحة هناء، التي باتت تخسر الكثير من وزنها، وملامح الشحوب قد نسجت على وجهها ، بالكاد تأكل ولا تتحدث كثيرًا، فقط عيناها هي مَا تنقل لنا حالتها البائسة، نقلناها للمستشفى عدة مرات وعرضناها على مجموعة من الأطباء، الذين أكدوا أنها لا تعاني من أي مرض سوى سوء التغذية، وهو ما يجعلها بهذه الحالة.

والذي زاد وضعنا حزنًا وهمًّا، الاتصال الوارد من أهل خطيب أختي، عندما قرروا عدم الاستمرار بهذه الزيجة، كون ولدهم يزداد تعبًا، والأعراض التي أصابته هي نفسها التي تصيب هناء، وقد قامت والدته باستشارة أشخاص متخصصين بمثل هذه الحالات وأكدوا لها أن سبب ما يجري لولدها مرتبط بشقيقتي، وما عليه سوى الابتعاد عنها.

وذات يوم زارتنا امرأة غريبة، ادعت إنها سمعت بحالة أختي، التي باتت حديث شارعنا بالكامل الحياة التي كنا نعيشها حين ذاك جعلت الشائعات تدور

حولها مثلما يدور الذباب فوق الجيفة منهم مَن قال إنها تتعامل بالسحر وانقلبت أعمالها عليها، ومنهم مَن قال إن هناك مَن يضمر لها الشر وعمل لها سحر وقلب كيانها، الشائعات لا تنتهي في مثل هذه الحالات.

أكدت تلك المرأة غريبة الأطوار، والتي كانت ترتدي عباءة وتغطي وجهها بالنقاب ويديها بقفازات سوداء، ولها حس مكتوم كأنها تحاول إخفاء صوتها الحقيقي، وتتحدث ببطء شديد:

- لن يفك العقد إلا الذي عقدها، ودواء ابنتكم ستعرفونه عند العضب.

سألتها أمي مستفسرة:

- هل تقصدين أن شفاء ابنتي عند رجل مصاب بعضب بيده؟

هزت رأسها إيجابًا بحركة سريعة وبالوقت نفسه غريبة جدًّا ثم قالت:

- لا يستقبل إلا شخصًا واحدًا، ولا يقبل بغيره.

لم تكن إجابتها متوافقة مع سؤال والدتي، قلت لها:

- هل أنتِ متأكدة مما تقولين؟ ثم مَن أنتِ؟ ومن دلك علينا؟ ولماذا تساعدينا بهذه الطريقة؟

كانت نظراتها حادة رغم النقاب الذي كانت تلبسه، ولم تجب على أسئلتي كأنها فضلت عدم البوح بها، وقالت:

- ليس لديكم متسعًا من الوقت، وبكلتا الحالتين ستفقدونها، إن لم تتعجلوا بالأمر.

وبعدها أخرجت ورقة من جيبها، ووضعتها على الطاولة الصغيرة التي بجانبها.

كنتُ أنظر لوالدتي، وبرأسي العديد من الأفكار والظنون التي لا تنتهي، لا أعرف كيف أتصرف مع هذه المرأة الغريبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، قالت جملتها تلك وصمتت لفترة طويلة فقط تنظر لنا بتلك العينين الغائرتين وبعدها نهضت تريد الخروج طلبت منها والدتي البقاء لكنها تركتنا غير مكترثة ولم تجبنا على أي من الأسئلة التي كنا نسألها إياها.

طلبت مني والدتي أن أتبعها، وما هي إلا ثوانٍ حتى اختفت لا ندري كيف مضت حثيثًا، هل من المعقول أن لها قوى سحرية جعلتها تختفي بهذه السرعة؟ المصيبة أنها لا تملك أية سيارة ولم يكن معها أي أحد، تلاشت بثوانٍ قلم قليلة كأنها ومضة برق، نظرت إلى الشارع ولم أجد لها ظلالًا حتى، رغم أن

الوقت الذي تتبعتها به لم يكن طويلًا، ومن الضروري أن تكون أمام عيني حتى لو كانت هناك سيارة تنتظرها بالخارج.

كنا في شبكة عنكبوتية من الألغاز التي لا تنتهي، منذ ليلة ذهاب هناء لذاك البيت الغريب واكتشافي لها إلى يومنا هذا، وفي الوقت نفسه كان أبي يسعى جاهدًا للوصول لعنوان ما يسمى بالشيخ الروحاني، الذي دلنا عليه الراقي الشرعي؛ لكي نكشف سر الأحداث التي تحصل لشقيقتي.

9

لا أعرف بأي يوم نحن ا الآن، فالأيام باتت متشابهة، والأوضاع تزداد حدة مع تكرار النوبات الفجائية التي تنتاب شقيقتي، واستمرار علتها وغيابها عن الوعي في أغلب الأحيان، والأصوات المخيفة التي تخرج من فمها مهددة بقتلنا لو فكرنا بمعالجتها، كنا ما بين سندان آلامها ومطرقة فقدان الأمل بشفائها.

كنت يومها أجلس على الأريكة وجسمي منهك كثيرًا بالكاد أستطيع رفع إصبعي، رغم أن رأسي كان مكتظًا بالأفكار التي تتحول في بعض الأحيان إلى وساوس، أفكر بكَم المصائب التي أمطرت حياتنا، وكيف لنا أن ننقذ تلك المسكينة التي من الممكن أن تفقد حياتها وتهلك لو استمر الحال على ما هو عليه، وأحيانًا يتحول هذا الهاجس إلى همسات بأصوات متداخلة لا تنتهي ولا حصر لها.

أنظر لهناء البائسة الممددة على السرير أمامي، وهي ممسكة بأحد الكتب محاولة ممارسة عاداتها اليومية متشبثة بطرف حبل الأمل، وبأن القادم أجمل، وستنجلي تلك المحنة وستنقضي معها هذه الأيام العجاف.

ورغم هذا كله كان هناك بداخلي كلام كثير، كنت أود أن أخرجه من صدري؛ لأني لو أبقيته لتحول هذا الحديث إلى قنبلة من الممكن وبأية لحظة أن تنفجر وتقضي على ما تبقى من عقلي.

- هل الحب هو التناقض يا سلمى؟

التفتت نحوي بعد أن أغلقت الكتاب الذي كانت تقرأ منه، وسألتني هذا السؤال غير المتوقع منها في هذه الظروف، ارتسمت بسمة صغيرة وعلى وجهي وقلتُ:

- الحمد لله على سلامتك يا عزيزتي، هذه المرة الأولى التي أسمع بها جملة صحيحة وواضحة المعاني، غير الأنين أو جمل الهرطقة غير المترابطة التي كنت أسمعها منكِ كل ليلة.

لم تهتم بما قلت وكانت لديها رغبة كبيرة في معرفة الإجابة حين قالت:

- دعك من هذا الهراء وأجيبي على سؤالي هل الحب هو التناقض؟ أو بمعنى أوضح، هل لي أن أحب شخصًا وبالوقت نفسه أكرهه؟

أجبتها وقلت:

- لم أجرب ذلك الشعور في يوم من الأيام، كون الحب بنظري من المحرمات التي لا يجوز

تجربتها إلا بعد الزواج، هذا ما تعلمناه من الذين كبرونا أو أفهمونا إياه ولا أخفي عليكِ يا هناء، هناك بداخلي رغبة كبيرة بأن أعيش تلك المشاعر.

أخذت نفسًا عميقًا يساعدها على الكلام وقالت:

- أريد إجابة واضحة، الذي أشعر به الآن شيئًا غير طبيعي، هناك مَن يهمس برأسي ويقول إنني ملك له، وهناك بعض الأحلام التي تراودني كل ليلة تطلب مني أن أبتعد عنه، أتمنى الاقتراب منه وفي الوقت نفسه لا أقوى على مجاورته مفضلة الابتعاد، أتمنى أن أرتمي بحضنه، وتأتيني مشاعر وحشية متناقضة أتمنى وقتها تمزيق جسمه.

اعتدلت بجلستي وقلت:

- ما هي تلك الأحلام التي ترينها كل ليلة؟

أجابتني قائلة:

- امرأة فارعة القامة نحيلة القد، ذات شعر طويل منسدل يصل لحد قدميها، بالكاد أرى ملامحا على وجهها، فات نظرة حادة، تقول لي جملة واحدة: (أنتِ مسيرة ولستِ بمخيرة، إذا لم تبتعدي عن هذا الملك سيكون عاقبتكِ عسيرة،

تلك المشاعر التي بداخلكِ ما هي إلا مشاعر مزيفة يدفعها هو بداخلك دفعًا).

عقدت حاجبيّ باستغراب وقلت:

- وهل هذا الحلم يتكرر معكِ باستمرار؟

أجابتني هناء:

- نعم جاءني ثلاث مرات وبأشكال عديدة، لكن المعنى الواحد، وكما قلت لكِ هناك همس أسمعه، يطلب مني الاقتراب، ولا يريد مني الاكتراث لأي من تلك التهديدات، عقلي كغرفة خربة ومهجورة ممتلئة بالغبار، أنا على مشارف الجنون.

قاطعت حديثها وقلت:

- عند استيقاظك أتشعرين بشيء آخر غير ذلك؟ أتعين ما يحصل لكِ؟ أم لا تزالين غائبة عن ما يجري حولك كله؟

ردت عليَّ بحيرة:

- لا أدري يا سلمى، كل ليلة أصحو بها من نومي أشعر بحرارة قريبة من أذني وصوت همس يطلب مني الحضور، أشعر برغبة كبيرة في تنفيذ طلبه، تجتاحني لهفة كبيرة لترك منزلي

والانصياع له، كنت أبكي من الشوق لو غاب عني صوته، وفي الحقيقة هناك شعور آخر يرفضه لا يريد أن أتقبل حضوره، إنه التناقض الذي أعيشه كل ليلة كما قلت لكِ.

سألتها برغبة مني للإطلاع على حقيقة الأمر:

- هل تقصدين سليل؟ الرجل الذي كان معكِ بالغرفة؟

جحظت عيناها منذ أن نطقت باسمه وقالت:

- إياكِ وذكر اسمه، قلبي تزداد ضرباته، ومشاعري تتبعثر لا أدري يا سلمى هل هو الحب أم الخوف، لا أعرف كيف أشرح لك هذا الجنون كله.

اقتربت منها وضممتها بحضني في محاولة مني لطمأنتها وبدأت أمسح على شعرها، وسط استسلامها لدموعها اليائسة، وجسمها المنهك لا تدري ما هي نهايتها، وقلت:

لا تقلقي يا عزيزتي سننقذك مما يؤذيك، وستتخلصي من هذا التعب كله، ارتاحي الآن وغدًا سَنجد الحل المناسب إن شاء الله.

10

الدخان الكثيف يلف المكان من حولي، أين أنا؟ ما الذي يحدث؟ للتو كنت في غرفتي مستلقية على سريري بجانب أختي، ما هذا الجنون الذي يحصل أدور حول نفسي أتفحص موقعي على أمل إيجاد أي شيء يوضح لي الأمر، أسمع صرخة مكبوتة آتية من المجهول، لم أفهم ماهيتها تكررت عدة مرات وبدأ معها قلبي يدق بعنف، هل هو التوتر؟ أم أن الخوف تسلل في جوارحي؟ رجع الصياح من جديد لكن هذه المرة بشكل أوضح، إنها ... نعم ... إنها صرخات أختي هناء تطلب مني النجدة، يا إلهي! ماذا أفعل؟ أنا تائهة وسط تلك الأبخرة ... لحظة... ما هذه الرائحة ... إنها رائحة ح... حريق.

استيقظت من نومي مفزوعة بعد هذا الكابوس وعلامات الانزعاج مسيطرة على نفسيتي، ثم التفت للجانب الذي تنام به شقيقتي هناء، والمفاجأة أنها غير موجودة، قفزتُ من السرير أبحث عنها بكل أرجاء الغرفة، والمصيبة أنني لم أجدها، جريتُ مسرعة أفتش عنها في جميع أركان الطابق الذي كان يحتوي على غرف نومنا، ولكنها اختفت تمامًا، نزلتُ للدور الأرضي ووجدت والدتي جالسة في غرفة

المعيشة تتكلم مع إحدى قريباتها من خلال الهاتف، لاحظت توتري ومن ثَم سألتني:

- ما بالكِ مرتبكة هكذا؟

أجبتها والقلق باديًا في صوتي:

- أمي.. هل رأيتِ هناء؟

ردت عليَّ باستغراب:

- أوليست نائمة بغرفتكِ؟

قلت لها:

- نهضت لتوي ولم أجدها بأي مكان في الطابق العلوي توقعت بأنها استعادت جزءًا من طاقتها ونزلت إلى هنا، أو أنها جائعة وذهبت للمطبخ تبحث عن شيء لتأكله.

بدأ القلق يتغلغل بقلب والدتي ثم أغلقت الهاتف دون اعتذار للطرف الآخر، ثم قالت:

- أنا هنا منذ الصباح الباكر ولم ألحظ وجودها.

هر عنا نبحث عنها ونمشط جميع أطراف البيت ولم تجدها وكأنها تبخرت، كما تعلمون نحن بفترة الثمانينيات ولم يكن هناك أية وسائل اتصال سوى الهاتف الأرضي، وكان والدي وقتها بعمله، أية إجابة

مطمئنة، كان الخوف وعندما اتصلنا به لم نجد منه يستشيط بدمي وروحي كالنار بالهشيم، أفكر ما العمل، هل أذهب وأخبر الشرطة؟

لا لا هذا حل بعيد كل البعد عن المنطقية، والمصيبة مع توتري وقلقي، كانت أمي تزيده بأسئلتها وخوفها المفزع، الذي صب فوق قلقي قلقًا آخر، ومن دون شعور صرخت بوجهها بأعلى صوتي وما أن انتهيت من هذا حتى بانت على معالم وجهها الغضب ثم تركتني ورحلت غير راضية عما قمت به.

وضعت يدي على رأسي أحاول التفكير بهدوء، مر أكثر من نصف ساعة دون أن أجد حل هنا تذكرت شيئًا مهمًا وطرأ على بالي هاجس بأنها من الممكن أن تكون قد ذهبت للمنزل المهجور الذي وجدتها به أول مرة.

نعم... نعم لا بد أنها هناك، ارتديت ملابسي وانطلقت مسرعة له من دون أي تردد، وقبل خروجي واجهت جارتنا الشمطاء (نحاة) تلك المرأة التي بِتُّم تعرفونها جيدًا، وقالت باتهام:

- كيف خرجت أختكِ من الغرفة دون أن تشعري بها؟

الضغط الذي أعيشه جعلني أصرخ بوجهها هي الأخرى:

- لم يكن ينقصني في هذا اليوم غير رؤيتك، ما دخلك أنتِ بشؤوننا؟ أرجوكِ اغربي عن وجهي، يكَفي ما يحدث لنا الآن.

لم تكن تلك المرأة اللعينة تتوقع مني هذا الرد، بعد الكثير من المجاملات التي كنت أغرقها بها احترامًا لوالدتي، ثم التفت للخلف ووجهت كلامي لوالدتي التي كانت تقف عند مدخل البيت:

- لم تستطعي كبح جماح لسانكِ، ولم تطيقي الصبر حتى نطمئن على هناء، بهذه السرعة أخبرتها بمصائبنا.

ثم تركتهما وصعدت مركبتي منطلقة ناحية ذلك المنزل الذي من المحتمل أن أجدها به.

كانت أفكاري متضاربة، ماذا أفعل لو حصل لها مكروه؟ إلى مَن ستتوجه أصابع الاتهام؟ ماذا لو لم تكن موجودة هناك؟ العديد من الهواجس السيئة، وما أن وصلت للمنزل طردت تلك الأفكار كلها، ثم وقفت أمام الباب الحديدي الأسود، أتأمله وأفكر بالخطوة القادمة.

أنا في حيرة من أمري ما بين طرق الباب أو اقتحام المكان، وقفت على هذا الحال لمدة دقيقة وأنا أقلب الموضوع في رأسي، وبالنهاية حسمت الأمر وبكل جرأة فتحته ومن ثم دلفت للداخل بكل حذر، أراقب خطواتي وبصري متحفز لأي طارئ أو مفاجأة من الممكن أن أراها أمامي، وعندما وصلت للباب الداخلي الذي كان عبارة عن باب خشبي مفتوح بالأساس، وقفت عنده وبدأت أنادي على اسم شقيقتي، بهذه اللحظة لم يكن هناك أي رد، توغلت قليلًا وببطء شديد، وكنت عازمة على الصعود للدور الأول كما في المرة السابقة، وأنا أصيح منادية على اسمها، لحظة حتى سمعت صوت امرأة يردد اسمي واسمها ابتلعت ريقي من الخوف، قلت في البداية إنها مجرد أوهام، كررت المحاولة مجددًا وبصوت أعلى هذه المرة:

- هل يوجد أحد في المنزل؟

لا شيء أيضًا، استجمعت شجاعتي ثم انطلقت للدور الأول، الهدوء هو الذي قابلني بهذا الطابق، لم يكن هناك أحد، انطلقت ناحية الغرف وبالتحديد الغرفة التي وجدت شقيقتي بها المرة الماضية، لم أجدها هناك كانت خاوية تمامًا، ماذا أفعل الآن؟ كانت توقعاتي كلها مُنصبَّة بهذا المكان.

عدت أدراجي خائبة وبحزن، هنا سمعت صوتًا أعرفه:

- سلمى... لا تستسلمي... أنقذيني.

نعم أعرف هذا الصوت إنه صوت أختي وفي الغرفة نفسها التي كنت بها منذ قليل، صرخت قائلة:

- أين أنتِ يا هناء؟ أرجوكِ إن أعصابي تكاد أن تنصهر من شدة التوتر.

أجابتني بصوت متعب:

- الأمر ليس بيدي، إنني مُكبَّلة.

قلت لها وأنا أبحث بالمكان:

- مَن الذي يكبلك؟ أين أنتِ؟ وهل تشاهديني؟

أجابتني بصوت متقطع:

- س... س... سليل.. الرجل أو الكيان الغريب، لم أعد أفهم ما هو.

قلت لها:

- ما الذي يريده هذا المجنون؟ أرجوكِ ساعديني كي أخرجك من هذا المكان.

لم يكن هناك أي رد مجرد همس أسمعه من بعيد، وبعد ترقب ليس بطويل، ضج المكان بأصوات

متداخلة، وبعدها بدأت أبواب الدواليب تفتح وتغلق من جرَّاء نفسها، ثم امتلأ المكان بموجات هواء شديدة، من قوتها لم أستطع البقاء بالحجرة، خرجت مسرعة، وبعد هروبي أغلق الباب خلفي، بدأت بالطرق عليه ولم أجد أي رد، وكنت أسمع خلفه صراخًا عاليًا، صببت تركيزي كله أحاول فهم ما يجري، أشياء كأنها تتحطم، صراخ امرأة لا أعرفها، ورجل بصوت خشن أعرفه جيدًا إنه سليل، وبعد دقائق توقف كل شيء، إلا من صيحة أختي العالية، هناك شعرت أن ضربات قلبي بدأت بالتزايد، وقلقي ارتفعت معدلاته، خفت أن مكروها قد أصابها.

أخذت أضرب على الباب بقوة، وأنادي عليها، كررت اسمها كثيرًا، وبينما أنا أقوم بفعل ذلك رأيت مقبض الباب يفتح بهدوء، ثم فتح على مصراعيه، تراجعت للوراء أريد معرفة ما يجري، ترددت في البداية بالتقدم.

هنا رأيت شيئًا أذهلني، تضاربت المشاعر بداخلي ما بين الدهشة والخوف، امرأة طويلة بشكل مخيف يكاد رأسها أن يقترب من السقف، نحيلة الجسد وكأنها جذع نخلة ميتة، ترتدي عباءة سوداء ونقابًا أسود، لا يبرز من قوامها سوى يديها وعينيها

الحادتين، تقدمت نحوي وهي تحمل بين يديها أختي هناء، ارتعشت أطرافي من المنظر الذي كنت أراه، تقدمت ناحيتي بطريقة مرعبة أشبه بالطوفان، قدماها تكادان أن تلمسا الأرض، تطير ولا تسير كما أرى، وما أن وصلت إلي قالت لي تلك الجملة:

- أنقذوها قبل أن تفقدوها.

لم أجبها، كنت أركز على تلك المخلوقات التي تحوم حولها ولم أرَ مثلها في حياتي، لتقول لي مرة أخرى:

- عقدتها بيد الشيخ العضب، وحياتي مرتبطة بحياتها، موتي هو موتها، وموتها هو موتي، لديكِ يومين حتى تنقذي شقيقتكِ.

وضعت شقيقتي على الأرض وأنظر لها ببلاهة حين قالت بغضب:

- هيا ال... أخرجا سريعًا، مكان العضب يعرفه والدكِ جيدًا، تأخيركم يعني موتها.

أمسكت بيد هناء أحاول مساعدتها، ما أن لامست يدي بشرتها حتى صعقت وأخذت أنتفض وكأن تيارًا كهربائيًّا اتبع مسراه عبر جسمي، وتحول بي المشهد من المنزل المهجور إلى مكان غريب وموحش لم أرَ مثله من قبل، كنت أتحسس الأرض التي وقعتُ

عليها وأنا مغمضة العينين، إنها رمال ساخنة تُبعث منها رياح السموم، كانت الأجواء به خانقة لا أستطيع التنفس بأريحية، أتوقع أن الحرارة في هذه البقعة قد تجاوزت السبعين درجة، فتحت عيني ببطءٍ شديد خوفًا من مضرة الحرارة، المساحات خالية تمامًا من أية مظاهر للعمران أو الحياة صحراء رملية شاسعة لا بداية لها ولا نهاية، لون السماء غريب يميل للأرجواني المحمر، التفت حولي يمينًا ويسارًا، ما هذا المكان الذي أنا به الآن؟ وأين هناء؟ بدأت أصرخ وأصرخ مناديةً عليها، إلى أن تيست حنجرتي وشُلَّ لساني عن الكلام، فزعت من وضعي، ما الذي يجري ولما أنا هنا؟ أراقب كل شيء بحواس متحفزة لأي طارئ، أنظر إلى المجهول بهلع، لا أعرف أهذا حلم أم أنني قَدمت؟

فجأة ظهر لي خيال دخاني أسود ضخم البنية، ذو صوت غليض يزمجر بغضب وهو يقول:

- لقد تجاوزتِ حدودكِ، واعتديتِ على حرمة مملكتي، لن تنجي من عذابي الذي سيسلط عليكِ بعد أن أنتهي من مراسيم زواجي من أختكِ، سأدمركِ تدميرًا.

فتحت عيني بوجل لألمح وجه رجل أظن أنني أعرفه، نعم إنه ذاك الرجل الذي صادفته عندما خرجت من هذه الدار المشؤومة أول مرة، كان يمسح على وجهي بالماء ويقرأ بعضًا من آيات القرآن الكريم، حاولت النهوض لكنني لم أستطع في بادئ الأمر، لكنه قام بمساعدتي أنا وأختي وأخرجنا خارج المنزل.

لم أهتم بمحاولته لإنقاذنا ما كنت أفكر به كله الآن الوصول للسيارة والهروب من هذا الجحيم، وما أن وصلت حتى انطلق لساني بالبسملة والحوقلة وأحمد الله على نجاتنا، هنا استوعبت وجود هذا الرجل واقفًا وقلت له:

- شكرًا لك على المساعدة، يجب أن نرحل حالًا.

وقبل أن نصعد المركبة أمسك بيدي ثم أفلتها وقال:

- عفوًا ... أنا آسف... لكن يجب أن أتحدث معكِ بأمر مهم جدًّا.

ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة وقلمًا، وراح يدون رقم هاتفه وأعطاني إياه، وأصر على محادثي معه، وقال:

- الوضع لا يحتمل التأخير، أرجوكِ اتصلي بي، لا تنسِ، ولا تُهملِ الأمر.

أخذتُ منه رقم هاتفه وأنا أهز رأسي بالموافقة على ما طلبه مني، ثم شكرته مجددًا على إنقاذه لنا.

أشغلت محرك سيارتي ثم انطلقت، كان الارتباك يحيط بي من كل جانب، حتى تذكرت شيئًا مهمًا.

نعم تلك المرأة التي كانت بذلك البيت، تذكرت أين رأيتها، نعم لقد زارتنا قبل يومين بمنزلنا وطلبت منا الذهاب للشيخ العضب كما كانت تقول، يا إلهي! هل من المعقول أن تكون جِنيّة؟

11

أحملق أمامي بوجهٍ واجمٍ وذهنٍ شاردٍ، وجسد مرتعش لا تزال آثار الصدمة تسري بعروقه، أفكر بكيفية التخلص مع هذه النقمة الناقمة، لا أعرف ما الذي يتوجب عليَّ فعله، انتهت حلول الأرض كلها بالنسبة لنا ولم يتبقَ سوى حل واحد، الاتصال على الشيخ الروحاني الذي وصفوه لنا علينا الإسراع الوقت ينفد منا، ولا سبيل أمامنا سوى اقتحام وكر ذلك الذئب.

أتوجه بنظري إلى هناء التي كانت تهيم بعالم آخر غير مدركة بما يجري حولها، وأقول في نفسي (ما الذي فعلتِهِ أيتها البائسة! وأوصلنا لما نحن به الآن؟).

ترجلت من المركبة بثقل شديد، أسير ببطء وكأن هناك أكياس رمل ربطت على قدماي التعب أخذ مني ما أخذ، جفناي مرتخيان يغطيان نصف عيني كأنهما ستائر جلدية أجاهد على فتحهما، توقعت أن أجد والديّ بانتظارنا على عتبات مسكننا والقلق يأسرهما، وهو الأمر الذي جعلني أتفكر وأسأل نفسي لهذه الدرجة لم يكونا مدركينِ مدى خطورة ما نواجهه؟ أم أنهما اعتادا على أن أكون أنا المنقذة؟ سحبت هناء سحبًا من السيارة وبخطوات السلحفاة وصلت

للباب الأمامي صدري يعلو ويهبط بقوة، أتنفس بشدة أريد إنعاش جسمي المرهق، أسباب التعب كلها تلتصق بي كأنها تريد أن ترميني أرضًا، أقاوم حالة التحفز، خوفًا من ظهور تلك المخلوقات الغريبة بأية لحظة وأحاول طردها من مخيلتي.

وما أن دخلت عبر الباب الثاني المؤدي إلى غرفة المعيشة، لأرى أفراد أسرتي يجلسون على الأرائك يشاهدون التلفاز، تقدمت بضع خطوات لينتصر التعب عليَّ بضربته القاضية، كل ما أتذكره أنني سقطت على الأرض، وآخر ما رأيته كان وجه أبي وشفتيه تتحركان مُصدرة صوتًا غليظًا تلاشى بشكل تدريجيّ مع خروج أول حروفه.

الأنابيب المطاطية كانت تضايقني، هذا ما شعرت به فور استيقاظي، فتحت عينيّ لأجد البياض يكسو المكان ورائحة مميزة نفاذة، على ما أظن أنني بالمستشفى، التفت على يميني لأجد أبي الذي كان جالسًا على أحد المقاعد وينظر لي بترقب، ابتسم لي وقال:

- حمد الله على السلامة.

بادلته الابتسام وهززت رأسي بهدوء، سألته مستفسرة:

- ما الذي جرى؟ هل هناء بخير؟

أجابني بعد أن أخذ نفسًا طويلًا:

- لا تفكري بهناء كثيرًا، ولا أريد أن أرهقك بالاستفسارات ما أريده كله الآن الاطمئنان عليكِ، لاَ تقلقي إنه عارض صحي بسيط فقط وكلها سويعات وتعودين للمنزل، هذا ما أخبرني به الأطباء.

سألته مجددًا:

- هل سأبقى هنا طويلًا؟

تحدث بعد أن نهض من مكانه وقال:

- لا تشغلي بالك كثيرًا، الأطباء أكدوا لنا أنه مجرد إرهاق جسدي، وما تَحتاجينه كله بعض المغذيات.

ارجعت رأسي لمكانه لأتذكر البيت المشؤوم، دورت ناحيته وقلت:

- علينا الإسراع في إنقاذ هناء، الوقت ينفد منا، ابحث عن الشيخ الروحاني الذي يدعونه بالعضب، الحلول كلها لديه.

مد والدي يده باتجاه يدي وربت عليها وقال:

- لا تقلقي كثيرًا يا سلمى، لقد وصلتُ لعنوانه بالفعل، وموعدي معه ليلة الغد، لا تظني بأنني تارك الأمر للصدفة.

اتسعت حدقتا عيني بسرعة من المفاجأة والسعادة، ثم رفعت رأسي محاولة النهوض وقلت لوالدي:

- سأرافقكَ لمنزل الشيخ، وما عليك كله الآن هو فك قيودي من تلك الأسلاك المطاطية اللعينة.

تغيرت ملامح وجه أبي قليلًا وقال:

- لا أستطيع يا سلمى، أخبرني الرجل الذي تواصلت معه، بعدم حضور أي شخص آخر غيري، هذه قوانينهم على ما يبدو.

أخذت نفسًا عميقًا، وبتأفف قلت:

- احرص جيدًا على إنقاذ هناء، الأمر ليس كما تتصور وهو ليس بالهين، العلامات التي أراها أمامي كل يوم تشير إلى أن مَن يستحوذ على جسم أختي كيان شرير لا يقبل التفاوض، سيدمرها إن ما طلنا بعلاجها منه.

أجابني والدي بأسى:

- لا تظني أنني غافل عما يحدث لكما، والعلامات التي كانت على وجهك قبل سقوطك تؤكد أنكما مررتما بأحداث تفوق الخيال.

وبعدها طلب مني أن أشرح له ما حدث بالتفصيل، لم يكن أمامي سوى نقل ما جرى بحذافيره كلها، الأمر الوحيد الذي أخفيته عنه هو حديثي مع الرجل الذي أنقذنا من الدار المخيفة بعد خروجي منها، وطلبه بالتواصل معي.

والدي في البداية لم يصدق ما تفوهت به، وكان يسأل كثيرًا، لكنه كان يثق بي جيدًا ويعلم علم اليقين بأنني لست من ذلك النوع الذي يهوى تهويل الأمور، كوني واقعية كثيرًا.

خرجت من المستشفى بعد أن أكد لي الأطباء بأنني سأكون على ما يرام، وما أحتاجه كله فقط الراحة، وعدم التعرض المواقف ترهق أعصابي، بينما والدي كان طوال طريق عودتنا شاردًا والقلق يكاد أن يقفز من عينيه، يتمنى أن يمضي الوقت سريعًا، حتى تشرق شمس الغد لينطلق المنزل الرجل المدعو بالعضب والذي لديه قدرة على اختراق الحجب، وحل الألغاز العجب التي كانت تحيط بنا، وإدراك الأسباب التي أوصلت هناء لهذا الحال.

12

كان صوت أذان الفجر يصدح بالخارج، وسواد الليل يلون الأرجاء من كل جانب نهضت من سريري بتثاقل بعد ليلة لم تكن مشبعة بالنوم الكثير، بسبب تفكيري بالموعد الذي سأقابل به الروحاني الملقب بالعضب والنتائج التي على إثرها سأعرف من وراء حالة ابنتي الغريبة، فأنا غير متمرس بمثل هذه الأمور، ولا أعرف كيف أتصرف مع هذه النوعية من الناس.

دخلت دورة المياه وعيناي شبه مغمضتين، فتحت الصنبور أريد أن أتوضأ استعدادًا للصلاة، كان صوت خرير الماء المتدفق يملأ الأرجاء، وما أن بدأت أنظر للمرآة التي أمامي، شعرت بخيالات تدور خلفي، لم أهتم في البداية، وظننت أن النوم لا يزال المسيطر على عقلي، وأكملت ما كنت أقوم به دون أن أكترث، حتى شعرت بيد وضعت على كتفي، ألتفت بسرعة كبيرة خلفي لم أجد أي أحد، عقدت حاجبيّ مستغربًا، وقلت في نفسي:

- هل أتوهم؟

لم أقتنع بذلك الرأي الذي طرأ برأسي، واعتقدت أن زوجتي هي مَن قامت بهذا الفعل، خرجت من الحمام

أريد التأكد، لم أجد أحدًا، فقط هدوء الفجر الذي- عادةً ما- يكون غافيًا بهذا الوقت، وزيادة للتأكيد توجهت لغرفتي، لأرى والدتكم تغط في نوم عميق، رجع عدم الاقتناع يطرق بمطرقته فوق هامتي.

عدت أدراجي أريد استكمال ما بدأت به، محاولًا ترسيخ فكرة الوهم بذهني، وعقلي يؤكد لي أن هناك يد وضعت على كتفي قبل قليل، أكملت وضوئي، فعنصر الوهم حل لجميع المواقف غير المفهومة.

مددت سجادة صلاتي أمامي، رفعت يدبي للتكبير، وبعدها بدأت بقراءة سورة الفاتحة، مطأطًا رأسي خشوعًا، ثواني حتى انتبهت أن البساط الذي أمامي تحرك قليلًا من مكانه، زاد استغرابي ونظرت لقدميّ معتقدا أنه تزحزح من دون قصد مني، وتفاجأت أن أطراف أصابعي بالكاد تلامس حافته، لم أهتم علمًا بأن شعور الخوف بدأ يتسلل بداخلي تعوذت من الشيطان واكملت انحنيت لركعتي الأولى واقتربت من البساط كثيرًا، لاحظت أنه تحرك مرة أخرى لكن بمسافة أكبر مما كنت أظن، وتأكدت -أيضًا-أن ما يجزي ليس أوهامًا.

أغمضت عيني وأنا أسبّح لربي وقلبي ازدادت نبضاته سجدت وأنا متمسك به بقوتي كلها، لا أريد أن أصل

لليقين الذي يؤكد لي أن ما يجري ليس بمحض صدفة، نهضت وقمت بقراءة الفاتحة لركعتي الثانية ولم يحدث أي شيء، أخذت نفسًا عميقًا فالسجادة لا تزال ثابتة بمكانها حتى موعد ركوعي مرة أخرى، وقبل أن أسجد سحبت من تحتي كأن أحدًا أخذها وقذف بها نحو الحائط، سقطت على الأرض وأنا أردد:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم.

أتلفت حولي أريد التأكد، هل هناك أحد غيري بالمكان؟ وصدري اضطرب من الرعب، استغفرت ربي بعد أن قطعت صلاتي، نهضت من مكاني ولا أحد حولي، أسير متوجهًا نحو السجادة، أريد تغيير مكاني بعد تلك الحوادث الغريبة التي جرت لي، ما يحصل كله يثير الريبة والاستغراب، فهمت أنني مع كيانات لا أعرف ماهيتها وهم مَن يتلاعبون بي، ولا يريدون أن يكشفوا عن أنفسهم.

قبل استكمال صلاتي قمت بقراءة بعض السور القرآنية؛ لعل نفسي المختلجة تعود لتوازنها مجددًا، أريد أن أتحلّى بالشجاعة التي فقدتها قبل قليل،

أحاول التمسك بفكرة الشياطين تخاف من الذين يقتربون من الله.

استقمت مرة أخرى ورفعت يديّ للتكبير مجددًا، استأنفت صلاتي كنت متحفزًا لأية حركة تحصل بالغرفة، وقبل أن أنهى التشهّد الأخير شعرت أن جميع أطرافي ترتجف، قمت بسرعة بعد أن صليت صلاة نقر الغراب من غير خشوعي المعتاد، أهلل وأحوقل وأسبح ولم أترك أي من الأذكار إلا ورددته، هممت برفع سجادتي وما أن طويتها حتى وجدت ورقة تحتها.

أنا على يقين بأن الأرض كانت تخلو من أي غرض قبل أن أفرشها، ابتلعت ريقي ومددت يدي المرتعشة نحوها، أمسكتها وبعد فتحها قرأت تلك العبارة التي كانت مكتوبة بخطٍّ رديء:

«الحقيقة بعض الأحيان موجعة، كخنجر مسموم غُرس بالجسد».

أعدت قراءة ما كان مكتوبًا أكثر من مرة، أريد أن أفهم ما المقصود منها، لكن لم أصل إلى أية نتيجة، جملة غريبة غير مفهومة، متأكد أن هناك مغزى منها، وبالوقت نفسه سألت نفسي سؤالًا واضحًا، من

وضع تلك الورقة تحت سجادتي؟ وما الذي يريدونه من ورائها؟

تصاعدت حدة الشكوك والريبة في روحي، فتحت الأنوار وبدأت بالبحث بكل مكان من الممكن أن يختبئ به أحد، ومحاولاتي كلها باءت بالفشل، وهذا ما زاد خوفي وحيرتي، نظرت للورقة مرة ثانية فهي حقيقية وتلك الجملة لا يزال وقعها على قلبي ثقيلًا.

وبينما كنت أركز بمعنى هذه الجملة المبهمة عادت مرة أخرى تلك اليد التي وضعت على كتفي عندما كنت أتوضأ قبل قليل، تسمّرت بمحلي من الخوف، لا يزال شعور اليد على كتفي موجود، إنني الآن لا أتوهم كما شعرت سابقًا، جفَّ حلقي من الرعب أحاول ابتلاع ريقي بصعوبة لا أعرف من صاحب هذه اللمسة المفزعة، مددت يدي أريد التأكد ولم أتجرأ في بادئ الأمر لكنني عزمت على معرفة صاحبها، وبحركة بطيئة وضعت كفي على تلك اليد التي كانت موضوعة على كتفي، كانت باردة كالثلج، لا مجال للتخمين الآن؛ عليَّ أن أعرف مَن هذا الشخص الذي يقف خلفي ويتلاعب بي طوال الوقت.

التفت بسرعة كبيرة وأنا أُبسمل، لأتفاجأ بابنتي هناء وهي تقف خلفي وجهها جامد تنظر لي بلا أية مشاعر، ثم قلت لها بغضب شديد:

- هل أنتِ مَن كنتِ تتلاعبين بي طوال الوقت؟

لم تجبني هناء بأي حرف، كانت تنظر أمامها ببرود غير مسبوق، كررت عليها سؤالي مرة أخرى لعلها ترد عليَّ بجواب يريح قلبي لكنها استمرت بصمتها وشرودها وفهمتُ وقتها أن الحالة الغربية قد رجعت لها، حاولت استنطاقها ثانية وقلت:

- هناء حبيبتي... هل أنتِ مَن كتب تلك العبارة على هذه الورقة؟

مددتُ يدي أريد أن أريها ما كان مكتوبًا، لم تأبه بفعلي؛ بل زادت التركيز على وجهي، قلت لها:

- ماذا الذي تعنيه تلك العبارة التي كُتبت هنا، عن أية حقيقة يتحدث؟

أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته بقوة، هممت بتكرير المعوذات والأذكار، لعله يجدي سبيلًا، أو أن أصل الإجابة واضحة لما يجري، فكل شيء حولي بات غريبًا غير واضح الملامح.

في هذه اللحظة قطعت هناء ذلك السكون كله الذي كانت عليه، وقالت بصوت عالٍ وخشن وبنبرة حادة

- الحقيقة بعض الأحيان موجعة، كخنجر مسموم غُرس بالجسد، افهمها جيدًا ولا تكن غبيًّا.

صارت تعيد تلك العبارة بذلك الحس الخشن عدة مرات كالأسطوانة المشروخة، بينما الذهول والخوف هما ما يسيطران على قلبي الذي أصبح متخدرًا من الجزع.

وما أن انتهت من جملتها تلك حتى شعرت بموجة حارة قد ملأت المكان، وبطاقة غير مرئية، أحسست أن أذنيّ مضغوطتين حد الانفجار، وضعت يدي عليهما عندما شعرت بألم كاد أن يفتك بي، ثوانٍ حتى فتحت جميع الأبواب والنوافذ الموجودة حولنا، رفعت رأسي لأرى هناء التي كانت قبل قليل وحشًا غير مروض تنظر لي، لكن هذه المرة بملامحها التي أعتادها منها، ثم سقطت على الأرض مغمى عليها.

توجهت نحوها محاولًا إيقاظها وإعادتها لوعيها لكن دون جدوى، حملتها وتوجهت بها إلى غرفتها، لقد اعتدت على تلك المشاهد، رجعت لتلك الورقة التي كُتبت بها العبارة أحاول مراجعتها لحل لغزها، لكن

المفاجأة هنا أن الورقة هذه المرة أصبحت بيضاء فارغة وكأن لم يُخط عليها حرف.

هذا ما أخبرني به والدي صباحًا قبل أن يعقد العزم على مغادرته المنزل متوجهًا لمقر العضب.

13

أتنقل من مكان إلى آخر بقلق ونفاد الصبر، مشاعري متضاربة بين أمل شفاء هناء وعدمه، توتري بلغ أقصى غاياته بهذا اليوم، أتحرى رجوع والدي على أحر من الجمر، ما الذي سيصل له من نتيجة عندما يقابل ذلك الشيخ الروحاني؟ وكيف سيستطيع مساعدتنا؟ الهواجس تسيطر على عقلي وتنبؤني أن ما سيخرج به سيكون مخيف وله عواقب سيئة على العائلة.

قطعت والدتي سيل هذا الكم من الاضطراب الذي يحتضنني وقالت:

- إذا ظللتِ على هذا الوضع سيصاب عقلكِ بالجنون ليس علينا سوى الانتظار.

نعم ما تقوله لي والدتي حقيقي، إذا بقيتُ على هذا الحال سيلتهمني القلق حتى قدمي، عليَّ الهدوء والتفكير بإيجابية، منذ صغري وتلك الوساوس تتفشى بي مع أي حدث سواء كان عاديًّا أو حساسًا، وبينما كنت على هذا الحال طرأت برأسي فكرة، بصراحة هي لم تطرأ بل تذكرتها، لماذا لا أتصل على ذلك الرجل الذي أنقذني وأخرجني من المنزل المخيف؟ فهو طلب مني ضرورة الاتصال به.

رفعت سماعة الهاتف بعد أن أخرجت الورقة من محفظتي، وقمت بالاتصال عليه، الانتظار بهذا الوقت أخذ منحى آخر من الألم، عالجت قلقي بقلق آخر هذا حال مدمني الوساوس، وبعد ثوانٍ من الانتظار أجاب عليَّ؛ ألقيت عليه التحية ثم عرفته بنفسي، سمعت تنهيدته الطويلة، والتي أكدت لي أنه كان ينتظر اتصالي كثيرًا، ثم قال لي:

- الحمد لله أنكِ استجبتي لطلبي واتصلتي بي، توقعت إنك لن تقومي بذلك.

أجبته بصوت هادئ:

- إلى هذا الحد اتصالي مهم جدًّا بالنسبة لك.

رد بعد أن عاد صوته لطبيعته:

- فوق ما تتصورين، كون زيارتكِ لم تكن الأولى لهذا المنزل، وملامحك الغارقة بالصدمة بعد خروجكِ منه أكدت لي أنك بمأزق كبير، ناهيك عن السمعة السيئة لهذا المكان، والأسرار التي تختبئ خلف حيطانه.

ازداد فضولي بعد سماعي لما قاله كله، وقلت له:

- هل أنت جاد بما ذكرته، هل لهذا المنزل سمعة سيئة؟

أجابني بكل ثقة:

- لهذا المنزل بمنطقتنا قصة غريبة ومخيفة بالوقت نفسه وأعلم جيدًا أن هناك حبال مجهولة قد ربطتكِ به، وما عليَّ الآن إلا أن أخبرك لعلَّ ما ستعرفينه مني سيحل بعض المشاكل التي تعانون منها.

قاطعته وقلت:

- كيف علمتَ بمشاكلنا؟

صمت لثوانٍ وأردف حديثه:

- لا تعتقدي أنني أعرف كل شيء، يقيني هو ما جعلني أخمن الأمر، مَن يأتون لهذا المنزل من المؤكد أنهم مصابون باللعنة، وعلى ما أعتقد أن سكان هذه الدار المخيفين هم مَن يريدون أن يلعبوا معكِ لعبتهم الشهيرة، التي من المتوقع أن تكون نهايتها غير سعيدة.

هنا زادت ضربات قلبي بعد سماعي جملته الأخيرة، وقلت له بلهفة:

- ماذا تقصد؟ لقد أخفتني كثيرًا بعد حديثكَ هذا، هل لكَ أن تخبرني ما قصته؟

أجابني:

- لا أريد أن كون متطفلًا كثيرًا، ولا أريد -أيضًا- أن تفهمي بشكل خاطئ ما سأقوله لكِ بعد قليل، هذه القصة لا تصلح أن أحكيها لكِ عبر الهاتف.

قلت له:

- فهمتكَ... تريد مني أن أقابلك بمكان ما.

رد عليَّ:

- بأسرع وقت ممكن، وصدقيني لا أخطط لأي فعل مشين كل ما في الأمر أنها مجرد مساعدة، لعل ما أقوله سيفك بعض الخيوط المعقدة التي تتشابك في حياتك الآن.

لم أتردد كثيرًا وقلت له بشكل مباشر، أنتظركَ بعد ساعة عند شاطئ الجزيرة الخضراء.

لم أجد منه أية إجابة بعد الانتهاء من جملتي، وعلى ما يبدو أنه قد صُدم من موافقتي السريعة، سألته سؤالًا كان يلح على عقلي:

- صحيح لم تُعرفني على اسمك.

أجابني:

- طلال... أُدعى طلال.

قلت:

- اسمع يا طلال... عليكَ مقابلتي بأسرع وقت ممكن بالمكان الذي ذكرته لكَ، الوضع الذي نعيشه لا يحتمل التأخير.

رد عليَّ:

- الآن الساعة العاشرة صباحًا، موعدنا بعد صلاة الظهر عند شاطئ الجزيرة الخضراء.

أغلقت بعدها الهاتف، هذه المكالمة خففت من ذلك التوتر والترقب، نهضت مسرعة وغيرت ملابسي وانطلقت بسيارتي مباشرة نحو ذلك العنوان.

كان نسيم البحر يلامس وجهي بكل ود، أرتدي نظارتي الشمسية، وعيني تبحث ما بين الناس القليلة التي كانت تتمشى بالمكان، أعلم جيدًا أنه يعرف ملامحي وبالوقت نفسه بالكاد أذكر شكله، فكنت حينها مشتتة الذهن عندما قابلته مؤخرًا.

وبالفعل صدق حدسي، عندما سمعته يلقي التحية من خلفي، كان شابًا وعلى. ما أعتقد أنه في منتصف الثلاثينيات، ليس بالطويل كثيرًا، بنيته الجسدية متناسقة، ذو شارب خفيف عيناه غامقتان وبشرته بيضاء، مريح بشكل عام ولم أتوجس منه.

جلسنا على أحد الكراسي التي كانت مواجهة للبحر، ليفتح حديثه مباشرة وقال:

- مَن الذي يعاني من عائلتكِ بالوقت الحالي؟

أجبته قائلة:

- أختي التي تصغرني.

سألني بعدها:

- دائمًا تهرب وتجدونها تختبئ بهذا المنزل؟

أجبته:

- بالفعل مثل ما تقول كيف عرفت ذلك؟ هل كنتَ تراقبنا؟

اعتدل ثم التفت نحوي وقال:

- لم أكن أراقبكم قَط، فحادثة شقيقتكِ ليست الأولى، لقد تكرر المشهد كثيرًا بالسنوات الماضية، فمثل ما ذكرت لكِ أن هذا المنزل لديه ماضٍ مرعب وسيء، وحتى أكون صريحًا معكِ، النهايات لكل مَن يستحوذ عليهم غير سعيدة ومؤلمة.

قاطعته وقلت:

- هل تقصد أن هناك أشخاص تعرضوا المثل ما أصيبت به أختي الآن.

رد بهدوء:

- كما قلت فالقصص في هذا المنزل تتشابه كثيرًا، والأعراض واحدة.

صمت قليلًا وأردف كلامه:

- شقيقتكِ تمرض كثيرًا وشاردة الذهن، تتصرف بطرق غريبة، ودائمًا ما تتحدث مع الفراغ، وبعض الأحيان تنكر الأفعال كلها التي تقوم بها، وتخبركم بأحلامها الغربية والمريب بأمرها أنها تختفي فجأة من المنزل ولا تجدونها إلا وهي محبوسة داخل إحدى غرف الدار المسكونة.

صعقت من وصفه الدقيق لحالة أختي، وقلت:

- بالفعل كما تقول، كأنك تعيش معنا، هل لديكَ الحل لكل ما تعاني منه؟

بانت على وجهه ملامح الأسى، وقال:

- الأمر ليس بيدي وكما قلت لكِ سابقًا هو خارق للعادة، أغلب مَن يصابون بتلك الأعراض تكون نهايتهم مأساوية، آسف جدًّا على ما أقوله ولا أريد أخافتك وعلى كل حال لم يفت الأوان ولدينا

متسع من الوقت، علينا استغلاله لإيجاد حل لها لو تشاركنا بالأفكار والمعلومات التي أملكها حتى نصل بالأخير لطريقة ننقذ بها شقيقتكِ.

قلت له بيأس:

- المعلومات التي لديَّ سبق وأن ذكرتها، الشيء الوحيد الذي لم تتطرق له ونعرفه جيدًا، أن جسمها مستحوذ من روح شيطانية، وربما هي عاشقة لها، تريد أن تتملكها.

هز رأسه بشفقة وقال:

- إذن دعيني أخبرك بقصة هذا المنزل، لربما من خلالها نستطيع تتبع الخيوط التي ستوصلنا الحلول ننقذ بها أختكِ قبل فوات الآن.

قلت له بحماس:

- هيَّا أخبرني بحكايته.

14

كانت عيناه تلمعان، لا أدري ما الذي كان يخفيه خلفهما، مترقبة أنتظر أن يحكي لي قصة هذا البيت الذي كانت تختبئ به هناء دائمًا، لم يكن أمامي الآن سوى الإنصات، اعتدل بجلسته ثم نظر إليَّ وقال:

- الحكاية يا سلمى، بدأت خيوطها في أواخر الستينيات؛ هذا يعني أن الحادثة حدثت منذ أكثر من عشر سنوات صاحب المنزل هذا متزوج ولديه سبعة أبناء؛ بنت وستة أولاد يسكنون معه، بالإضافة إلى شقيقته غير المتزوجة والتي تُدعى حصة.

حصة كانت على علاقة حب عذرية مع ابن جيرانهم منذ سنة تقريبًا، وهي من النوع الذي لا يريد أن تصل إلى عمر معين كي لا يفوتها قطار الزواج، وتعلمين جيدًا أن للبنات عمر محدد إذا وصلن إليه تلتصق بهن كلمة العيب، وأسهمهن بالزواج تقل كثيرًا، وتنسج عليهن العديد من الحكايات والقصص، وربما في بعض الأحيان تصل إلى أن يطلق عليهن كلمة (بايرة) أو عانس كما نعرف جيدًا.

انقبض قلبي عند سماعي جملته الأخيرة، وتغيرت ملامح وجهي، انتبه لما جرى لي وتوقف قليلًا، كأنه ينتظر مني كلمة، وبعدها أردف حديثه:

- سمعة الشخص الذي تحبه لم تكن بالحسنة في الحي، غير ذلك فهو ليس من العوائل المعروفة، أي أنه ليس ذا أصل رفيع كما هو متعارف عليه، لم تهتم حصة لكل ذلك، كانت تريد فقط أن يتقدم لها عماد، وبالفعل خطى عشيقها تلك الخطوة، فهو يعرف أن الزواج من حصة يعني له الكثير، وربما تفتح له أبواب السعد، كونها من عائلة معروفة، غير ذلك من مميزات أخرى.

الحدث المهم هنا أن شقيق حصة، رفض هذا الزواج جملة وتفصيلًا، وأخبر شقيقته أنه من المستحيل أن يوافق على مصاهرة هذا الأحمق الذي من الممكن نسبه يدنس شرف العائلة، ولو فرغ العالم كله من الرجال إلا منه فلن يزوجها إياه، وكيف لهذا الصعلوك التجرؤ والإقدام على هذه الخطوة، لقد أغلق جميع الأبواب بوجهها، ولم يجعل لها أية وسيلة للنقاش أو التفاوض.

لتدخل حصة بدوامة لم تعرف لها قرار، لكنها لم تيأس ففكرت في البداية بالهروب معه والزواج منه،

وهي تعلم أن هذه الطريقة لها عواقب وخِيمة وتصل للموت غالبًا، لكنها لم تأبه لذلك وأطلعت عماد على فكرتها الذي بدوره رفضها رفضًا باتًا؛ لأنه جبان لا يقوى على تلك المجازفة التي ستودي بحياته.

وذات ليلة كانت حصة تزور إحدى صديقاتها القريبات منها كثيرًا، التي رأت علامات التأثر واضحة على وجهها، وبدأت تلح عليها؛ كي تكشفَ عن سبب هذه الملامح التي جعلت عينيها ذابلتين وجهها مكفهر قائلة:

- الحزن يكاد ينطق من وجهكِ يا حصة، أخبريني ما بكِ.

تنهدت حصة بهدوء وأجابتها:

- أغلقوا جميع الأبواب بوجهي يا رحمة، نحن النساء ضعيفات لا حيلة لنا بهذا المجتمع الظالم الذي يضع أمامنا العديد من الحفر والعراقيل قبل الوصول لما نريد، وإذا لم نصل ركنونا في زاوية النسيان، كل ما أريده الستر، وباب يغلق عليَّ مع مَن أحبه قلبي.

فهمت رحمة ما تلمح إليه حصة، وقالت:

- تقصدين عماد الذي تحبينه ورفض أخيكِ له، توقعت أنك قد استسلمتي كما استسلمن الكثيرات مثلك.

أثارت هذه الجملة حفيظة حصة التي ردت عليها بسخط قائلة:

- هل تريدين أن أكون نسخة مكررة منهن، وأجلس أخدم أخي وأولاده، وأنا أراهم وهم يعيشون حياتهم التي يريدونها دون الإكتراث الحالي، هل تريدين أن أموت وحيدة لا زوج يؤنسني ولا ولد أستند عليه عند الكبر، لن أصل لهذا الحال أبدًا، ولن أستسلم إلى أن أصل لمبتغاي.

قالت هنا رحمة:

- ما الذي تفكرين به يا مجنونة؟ أعرفكِ عنيدة ولن تتركي ما تريدين حتى تصلين إليه.

أجابتها حصة:

- لا أنكر أنني فكرت أن أهرب معه، ونتزوج بمكان ما بعيدًا عن تلك العادات التي تقتلنا ببطء، لكن عماد جبان ورفض ما قلته له.

لاحت على رحمة ملامح الدهشة وقالت:

- بالفعل أنت مجنونة، ألا تعلمين أن لهذه الفكرة عواقب كارثية، وربما لن تصلي لمبتغاكِ، فكري جيدًا بطريقة أخرى مفيدة ومعقولة.

تأففت حصة، وقالت:

- لم يجد عقلي سوى هذه الفكرة، إذا كنت تملكين غيرها لا تبخلي على صديقتكِ، الحيرة تكاد تنهشني نهشًا، ولا أريد الاستسلام، فالعمر يسرق مني كما أنني أحب عماد ولا أطيق الابتعاد عنه.

ابتسمت رحمة بخبث، وقالت:

- هناك حل وحيد لو كان قلبك يجرؤ على فعله.

قالت حصة بحماس:

- أخبريني به بسرعة، مستعدة لفعل أي شي المهم الزواج مِن مَن أحب.

نهضت رحمة وتوجهت إلى الدولاب القريب ثم أخرجت صندوقاً حديديًّا كانت تُخفي به بعضًا من مجوهراتها، بعدها قامت بفتحه وأخرجت منه قطعة جلدية سوداء مثلثة الشكل ليس لها أية ملامح واضحة، وقالت:

- قبل أن أفصح عن فكرتي، عديني أن ما سأقوله لكِ سيبقى سرًّا بيننا، ولن تخبري به أحدًا.

ردت حصة مرة أخرى بحماس:

- أعدكِ يا رحمة، بالله عليكِ لا تبخلي عليَّ بالحل.

أخذت حصة ذلك الشي الصغير المثلث بعد أن ناولتها إياه صديقتها، وبدأت تنظر له ببلاهة، لتقول رحمة:

- هذا حجاب عملته لدي أحد الشيوخ الذين يفهمون بالأمور الغيبية والروحانية، المراد منه أن أربط لسان أم زوجي، وأن أجعلها هي وابنها خاتم بأصبعي، وأكون -أيضًا- من المقربات لها والمحببات إلى قلبها، ولا ترفض لي أي طلب، إضافة إلى إعماء عيني زوجي عن أية امرأة سواي، السيطرة كلها لي أنا وحدي.

قاطعتها حصة، وقالت:

- وهل نجح مفعول هذا الحجاب مع مَن ذكرتيهم؟

قالت حصة بثقة:

- بكل تأكيد، الجميع بهذا البيت يحترمني، وزوجي لا يرفض لي أي طلب، ولا يعرف أن يخطو أية

خطوة إلا بعد مشورتي، ولا يأكل ولا يشرب إلا من يدي، ولا ينام إلا بعد أن يشتَم رائحتي.

تغيرت ملامح وجه حصة، وسألتها:

- هل ما فعلتِه يا رحمة يعتبر سحرًا؟

أجابتها بعد أن صمتت قليلًا:

- ليس بالسحر الكامل، فأنا لا أقصد أذية أحد، ما فعلته أريد به مصلحتي والحفاظ على بيتي، صدقيني هذا الشيخ إنسان يتعامل بالقرآن وليس كما تظنين، ما سيقوم به كله هو عقد لسان أخيكِ من أجل أن يوافق، ويكون تحت طوعكِ وإمرتكِ.

عمَّ الصمت قليلًا، ثم قالت حصة:

- لا أدري ما أقول، أشعر ببعض التردد وعدم الاقتناع.

قالت رحمة بنوع من الغضب:

- يا غبية ليس أمامكِ سوى هذه الفرصة لا تضيعيها من يدك، لن يتضرر أحد سواكِ إذا لم تأخذي بنصيحتي، بعضًا من التنازل عن المبادئ لن يضر كثيرًا، هذا كله في سبيل ضمان مستقبلكِ، هل تريدين البقاء بسجن أخيكِ

طويلًا، الزمن لا ينتظر أحد، والفرصة تأتي مرة واحدة كما تعرفين.

لم تجيبها حصة ولازمت الصمت والتردد بداخلها، هنا قالت رحمة:

- لا ترددي واعقدي العزم، ما أحتاجه كله منكِ بعضًا من الجرأة والإقدام، وإذا وافقتي خلال يومين سنزور بيت هذا الشيخ، وما عليكِ كله تنفيذ جميع ما يطلبه منك من دون أي تردد، وخلال أقل من شهر سترين التغيرات التي ستطرأ على حياتك، وتصلين إلى مبتغاكِ من هذا كله، المهم ألاّ تخبري أي شخص حتى عماد نفسه.

15

بيت على الطراز العربي القديم بإحدى المناطق السكنية العتيقة ترجلت كلًا من حصة ورحمة من المركبة، الأولى كانت تسير ببطء وترقب والثانية تسبقها بخطوات بكل ثقة طرقت الباب الخشبي لتفتحه لهما فتاة صغيرة، تحدثت معها رحمة وسألتها عن الشيخ، البنت الصغيرة رحبت بهما وأدخلتهما للداخل، كان منزلًا عاديًّا جدًّا، الشبابيك والحيطان قديمة، السقف نفسه من طراز ما قبل الخمسينيات حتى رائحته تؤكد لك أنك الآن تزور حقبة من الزمن منسية.

التوتر هو مَا يعصف بحال حصة التي كانت عيناها تدوران بالمكان، تتفحصان كل ما هو حولها، وما زاد الأمور رعبًا أكثر؛ تلك الإضاءة الخافتة التي توحي لك إنك مقبل على مشاهد مخيفة.

دقائق ليدخل عليهما رجل يبدو أنه في أواخر الأربعينيات من عمره، لم تكن حصة تتوقع أن يكون هذا هو الشيخ الروحاني الذي ذكرته لها صديقتها، كانت تتوقع أن يكون هذا الشيخ ذو لحية بيضاء كثيفة، والوجه ممتلئ بالتجاعيد، وعلى رأسه

عمامة، أما الذي شاهدته غير ذلك تمامًا، رجل عادي ترى على شاكلته الكثير بالخارج.

في حين نطقت رحمة لكلمات السلام والترحيب به قاطعها الشيخ ومن دون مقدمات:

- عقل أخيكِ ليس بالصعب يا حصة؛ بل سهل الاختراق لا يوجد حوله حراس، نستطيع السيطرة عليه، لكن هناك شيء أهم من شقيقكِ، الأعوان يطلبون الاستحواذ على المنزل وكل من فيه، هل لديكِ القدرة على تنفيذ ما نريد من طلبات؟

لم تنطق حصة بأية كلمة كانت مرتبكة، سبقتها رحمة وقالت:

- بالطبع يا شيخ نحن لم نأتِ هنا، لنحتسي الشاي ونعود ما نريده كله أن تحل مشكلة صديقتي، ومستعدين لتنفيذ طلباتك كلها.

أخرج الرجل من جيبه مسبحة ذات خرز صغير، وبدأ بتحريكها وهو يردد بعض الكلمات غير الواضحة والمبهمة، وبعد أكثر من دقيقة قال:

- الذي نحتاجه في البداية أثر الدار التي تسكنونها، وهنا أعني تربة من زاوياه الخارجية كلها، مع أخذ

أثر لكل شخص يعيش بهذا المنزل، كل ما نريده أن يبقى الجميع تحت نفوذنا، كي لا يؤثر أحد من أبناء أخيكِ على قراراته المستقبلية، ولنفتح جميع البوابات.

ليصمت بعدها وعاد لما كان يقوم به، قالت هنا رحمة

- هذا ما تحتاجه كله يا شيخ؟

لم يجبها، بقى مستمرًا بما كان يفعل، عمَّ الصمت من جديد منتظرين أية ردة فعل، ثم نطق فجأة قائلًا:

- هناك شرط أساسي على حصة الموافقة عليه الآن، غير ذلك لن أقوم بأي عمل.

نطقت حصة أخيرًا بصوت خافت يكاد يسمع وقالت:

- ما هو هذا الشرط؟

نظر لها الشيخ بحدة، وقال:

- لن أقبل أية اعتراضات، إذا بدأنا لن نتراجع، حتى لو رأيتِ أهل منزلك يموتون أمامكِ، وبمجرد دخولكِ بيتي ستكون العواقب وخيمة، أنتِ مجبرة من الآن على كتمان ما سيجري، افهمي ذلك جيدًا واحذري من مخالفة الأوامر فإن مَن

تتعاملين معهم ليسوا بالمسالمين الكل سيتأثر أولهم أنتِ وقتها ستتمنين الموت ولن تصلى إليه، وفي حال نفّذتي كل ما نريد ستحصلين على مرادكِ وستحقق أهدافكِ، والكل سيكون تحت جناحكِ، القرار بيدكِ، لا عودة بعد هذه النقطة.

قطعت رحمة الكلام، وقالت:

- كما ذكرتَ لكَ يا شيخ لم نأتِ هنا لنلعَب، المهم تنفيذ كل ما تريد، وجميع أوامركَ ستنفذ كما أمرت.

قال الشيخ هنا وبغضب واضح على صوته:

- أريد أن أسمع موافقتها من فمها.

التفت رحمة لحصة وقالت:

- ستسمع ما تريد.

بقيت حصة ساكنة تتفكر لثوانٍ، الجميع ينظر لها، لتقول بعدها:

- موافقة على طلباتكَ، ولن أتراجع عن أهدافي، وسأحرر روحي الحبيسة من جبروت أخي وأولاده.

صمتت بعدها، وشعرت بإحساس قد اعتصر قلبها بعد أن نطقت بتلك الكلمات، تمنت لحظتها لو كان بيدها حل غير هذا، لكن شقيقها وتعنته بمبادئه حال دون ذلك.

أشاح الشيخ بنظرة للناحية الأخرى من المجلس، وكأنه ينظر لشيء مجهول خفي لا أحد يستطيع رؤيته غيره، وقال:

- الأمور المالية تعرفها رحمة جيدًا، لا أريد التداول بها بهذا المكان ولا أريد للأسياد أن يسمعونا نخوض بحديث تافه مثل هذا.

نهض الشيخ من مكانه ثم تركهم راحلًا، كانت حصة تائهة ومترددة، تعيش ما بين تحقيق أحلامها وعيش الحياة التي اختارتها لنفسها، والتضحية بتلك العائلة التي تعيش معها، لم تنطق بأية كلمة طوال مسير عودتهما، بينما رحمة كانت تثرثر كثيرًا، وتطلب منها تنفيذ طلبات الشيخ بأسرع وقت ممكن، وتحذرها من النتائج السيئة في حال التأخير في تنفيذ طلبات الأسياد، وعن الحياة الجديدة المقبلة عليها.

كانت ليلة عسيرة على حصة، تتقلب طوال الليل على فراشها لا تعرف من أين تبدأ، وهي على عِلم بأنها تتعامل مع أشخاص لا يعرفون الرحمة، وربما

سيقضون على حياتها لو رفضت طلباتهم، شعرت أنها وقعت في المأزق، لكن هواجس تسلط شقيقها عليها وعلى حياتها وجبروت زوجته وأولادها الذين استعبدوها كخادمة لهم أشعل بقلبها نارًا مستعرة، لن تهدأ سوى بالانتقام وتحقيق حلمها الذي كان يشع من بعيد، جعلها تقدم على تجهيز تلك الأشياء التي طلبها منها.

وبعد يومين جاءت حصة إلى رحمة وبيدها التراب الخاص بالمنزل، وأثر الذين يعيشون به كلهم، وطلبت منها الإسراع في الذهاب لبيت الشيخ وإعطائه هذه الآثار، وبالوقت نفسه لم تكن تعرف أنها كانت تقوم بتجهيز قبر شيطاني لن تغلق دائرته إلى الأبد، ولن يقتصر الأمر على السيطرة فقط.

قاطعت حديث طلال وقلت:

- هل هناك بَشر بمثل مواصفات حصة؟ ضحت بعائلتها كلّها من أجل مصلحتها، من الواضح أن العواقب جسيمة ولن تصل بهم لبر أمان يقيهم رياح المصائب، لقد شعرت بالاشمئزاز من طريقة تفكيرها، وعدم اهتمامها بأسرتها.

أجابني طلال وقال:

- الأنانية في بعض الأحيان مثل الحمم البركانية تتقدم ولا تأبه بما سيكون تحتها، دعيني أكمل ما حدث بعد ذلك، القصة لم تنتهِ عند هذا الحد.

16

- بعض الأحلام لا تتحقق إلا إذا دفعتِها بعجلة الأنانية.

هذا ما قالته رحمة لصديقتها حصة، عندما زارتها بعد يومين من تسليمها أثر المنزل وقاطنيه للشيخ.

كانت حالة حصة المزاجية متقلبه تتأرجح بذهنها، تجدها متحمسة وتنتظر النتائج تارة، وأخرى تراها خائفة متوجسة مما أقدمت عليه قائلة:

- هل ستتأذى عائلتي بعد فعلتي؟

نظرة لها رحمة بسخط ثم أجابتها:

- ارحمي نفسكِ يا امرأة لقد انتهى الأمر كله، أنتِ تعلمين أن الأوان قد فات لا تراجع الآن، فكري بنفسك جيدًا، أنا واثقة أن أخاكِ سيوافق بكل رحابة صدر على زواجكِ وستكونين المقربة منه بالفترة القادمة، أثق الثقة كلها بهذا الشيخ، ولن تكون هناك نتائج سيئة، كما ترين أعيش وسط عائلتي بكل سعادة، وجميعهم بأفضل حال ولن يمسسهم السوء.

الكلام كله الذي سمعته من رحمة لم يطفئ نار التوجس والخوف الذي بداخلها، ظلت شاردة متفكرة.

قطعت صديقتها لحظة تفكيرها تلك وقالت:

- الشيخ أعطاني هذا البخور وقارورة ماء مقروء عليها، عليكِ رش الماء حول المنزل وإشعال البخور، يجب أن تقومي بذلك بأسرع وقت وفي أول ليلة قمرية، وحرّص كثيرًا على أن تكون بأول ليلة قمرية، وبعد سبعة أيام سترين النتائج أمام عينيكِ.

أخذت حصة الحاجيات، ونفذت ما طلبه منها كله بكل هدوء ومن دون نقاش.

وبعد مرور سبعة أيام تقدم عماد لخطبتها كما هو متفق عليه، وكانت المفاجأة غير المسبوقة، بأن شقيقها وافق دون أي اعتراض بل رحب الترحيب كله بهذه الزيجة، ووصل به الأمر أن دعاه على العشاء، وكان أكثر حماسًا منها وكثير التواصل معه، وسارت الأمور كما كانوا يتمنون وسط دهشة حصة التي لم تكن مُصدِّقة، كيف تغير أخوها بهذا الشكل، وبركات الشيخ كما قالت جعلت لسان شقيقها مربوطًا ومسيرًا ينفذ كل ما تريد، غير المعاملة الجميلة

والمميزة من عائلته، عاشت فترة ذهبية شعرت أنها ملكة متوجة، وكل شيء تريده يأتي تحت قدميها، وعُقد قرانها على عماد، وبعد ثلاثة أيام من زواجها جاءها خبر كان في البداية عاديًّا، عندما أخبرها شقيقها بتعرض زوجته لوعكة صحية، والمفاجأة بعد أسبوع ازداد مرضها، وتسارعت شدته ولم يمضي على معاناتها وتعبها شهر واحد فقط حتى توفت وشخص الأطباء سبب موتها بهبوط مفاجئ بالدورة الدموية، رغم أنها لم تكن تعاني من أية أمراض تجعلها طريحة الفراش محمومة وتهلوس بكيانات كانت تراهم على الدوام في صحوتها ومنامها.

الوضع كان غريبًا، مخاوف حصة كانت في محلها، المنزل أصبح غير عادي البتة، العديد من الأمور المفجعة أصبحت تحصل به، تحرك الأشياء من مكانها أصوات تصدر من سطح المنزل من دون أي مبرر، صراخ يأتي من الفراغ في إحدى الغرف، حتى إن الجيران قد لاحظوا تلك التغيرات، ولم يجدوا أية أجوبة واضحة، ذلك كله عجّل بخروج العديد منهم خوفًا على حياتهم وعقولهم من الجنون، فالأغلب تعرض لمواقف مشابهة لما ذكرت، وأبرزهم شقيقها الذي كان يشهد هذه الأمور ويتحملها، والزواج كان

هو المنفذ الوحيد لأولاده، فقد قام بتزويج جميع أبنائه الذكور، ومن يتزوج منهم يخرج أو بمعنى أدق يهرب، ليبقى شقيقها مع ابنته الكبرى بذلك البيت الذي أصبح موحشًا، كل مَن يدخله يشعر بشعور مقبض ومنفر لا تبرير له، وبما تعرضت له للأم نفسه اصبت ابنتهم الوحيدة بالوهن والأعراض ذاتها، وسط ذهول الجميع وقبل مرضها كانت -دائمًا ما- تردد أن هناك كائن غريب يزورها بغرفتها، ويقول لها:

- هذا المنزل أصبح ملكنا، وبوابة الدخول لعالمنا.

ومن الطبيعي أن يقوم شقيق حصة باستجلاب العديد من الشيوخ، المحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه وطرد الأرواح الشيطانية التي تشاركهم معيشتهم في مسكنهم الذي بات حديث الشارع آنذاك، ليخبره أحد الشيوخ أن الشياطين تسكن منزلك، وهم يسيطرون على من يعيش به، وبالأخص النساء منهم ولا يوجد سبيل لمواجهتهم، كل ما عليك فعله هو ترك المنزل لهم لإنقاذ نفسك وعائلتك، هذا كله حدث وسط صمت حصة التي ابتلعت لسانها خوفًا من أن يطالها أذى تلك الكيانات الشريرة كما وعدها الشيخ سالفًا، وهي على علم اليقين أنها السبب الرئيسي بكل ما يجري لعائلتها.

لم يقتنع أخوها بكلام الشيخ، وظن أن ما يحصل مجرد عارض سيحل بقراءة القرآن، لطرد أي مخلوق يسكن منزله، والمفاجأة أنه فقد ابنته التي كانت تعاني من أعرض السقم، لتذبل مع مرور الوقت وتموت كما حصل لوالدتها.

لم يتحمل الأب فقدان غاليته وأقرب شخص لقلبه، عاش فترة بسيطة بعد وفاة ابنته في بيته، لكن إلحاح أبنائه عليه ببيعه لتجنب المصائب حتى لا يتعرض أي شخص آخر لأي أذى، وافق مجبرًا خوفًا عليهم من أي ضرر.

قطعت حديث طلال وقلت:

- ماذا حدث لحصة، خلال تلك الغرائب والنوائب التي حلت بهم.

أجابها طلال وقال:

- هجرتهم ولم تعد تتواصل معهم، بعد أن شاهدت كل ما جرى بهم، والكوارث الغامضة التي تدور حولهم، وحسب المعلومات أن عماد قد طلقها بعد فترة من الزمن، وباتت تعيش وحدها، وأغلب الظن كما وصل لنا أنها أصيبت

بلوثة عقلية، دخلت على إثرها مستشفى الطب النفسي.

وبعد ذلك أصبح كل من يعيش بالمنزل يتعرض لهجوم تلك المخلوقات، غير أن هناك نساء تأتين هنا مثلما تفعل أختك وتختبئ بداخله، وبكل صراحة وأمانة أغلبهن يمتن، المنزل أصبح ذو سمعة سيئة ومشهور بالمنطقة بأنه مسكون من قِبل الجن، ومنذ ثلاث سنوات لم يسكنه أحد.

تغيرت ملامح سلمى وقالت:

- ما الحل برأيك لإنقاذ شقيقتي؟ هل سيكون مصيرها مثل مصير الباقيات؟

أجابها طلال:

- عليك الآن معرفة ما هو السبب الرئيسي وراء وصولها لهذا الحال، وأعتقد أن هناك مَن قام بعمل سحري أحكم سيطرته عليها وجعلها بما هي عليه الآن.

أطرقت برأسي وأنا أنظر للأرض بكل حزن، وعلامات اليأس واضحة جلية على وجهي، فهم طلال أن قصته التي ذكرها هي ما أدخلتني بهذه الحالة ليقول:

- لن أتخلى عنك يا سلمى، سأسعى لإيجاد حل لكل ما وقع على أختكِ كلام طلال أدخل في نفسي بعض المشاعر التي اختلطت بداخلها، أحسست بنسمة هواء باردة اخترقت روحي، رغم أنه لم يكن حاسما، إلا أنه كان شعورًا جديدًا على أذنيّ وبالتحديد من شخص غريب، إضافة إلى تلك المشاعر التي هاجمتني لكنني لم أصدق ذلك الشعور، وقلت في نفسي إنها مجرد أوهام، وثم التفت إليه وقلت بعينين لامعتين:

- والدي ذهب صباح اليوم إلى منزل أحد الشيوخ الذي يدعونه بالعضب، ومن الممكن عن طريقه نعرف السبب الرئيسي وراء كل ما يجري لأختي، ولربما هو الآن بالمنزل، عليَّ الرحيل فورًا وسأطلعك بكل ما هو جديد.

رد طلال بثقة وقال:

- أنا على يقين أن ما أصاب شقيقتكِ سببه لعنة البيت المسكون، الأهم مَن ذلك معرفة من دلها عليه.

قلت له:

- أتمنى أن تعود هناء لطبيعتها، وتعود أيامنا السابقة كما كانت هادئة بلا منغصات.

17

لو كنت على علم بما كان ينتظرني لما فكرت بالعودة، هذا لسان حالي وقت معرفة الحقيقة، وبالتحديد عندما وصلت للبيت وركنت مركبتي أمامه، كانت المفاجأة بانتظاري وهي متمثلة بسيارة الإسعاف الواقفة عنده، حدثت نفسي قائلة:

- على ما يبدو أن هناء قد أصيبت بعرض صحي كالمعتاد.

لم يدر بخلدي أنني سأرى ذلك المنظر الذي قلب حالي، كان المسعفون يحيطون بوالدي محاولين إنعاش قلبه، في حين أن أحدهم كان يردد:

- إنها نوبة قلبية، علينا الإسراع في نقله للمستشفى.

عندما سمعت ما ورد على لسان المسعفين شعرت أن زلزالًا قد اجتاح مفاصلي والأرض تموج من تحتي، ولم أعلم كيف بقيت واقفة متسمرة بمكاني ولم أقع حتى الآن، وكأن الشلل قد أصاب قدمي، وكل ما حولي يدور بسرعة كبيرة يخيل لي أنني

بدوامة لا تتوقف، وأحداث متسارعة لا تنتهي، وضعت يدي على قلبي لأتأكد هل ما زال ينبض.

كانت والدتي تبكى وبجانبها جارتنا نجاة تحتضنها، لساني أصبح كالخشبة بالكاد تخرج منها الكلمات، أريد فقط سؤالهم ما الذي أصاب أبي؟ وبعد مرور دقيقتين انطلق المسعفون بوالدي وأدخلوه لسيارة الإسعاف، نعم لقد ابتلعتني الصدمة حتى قدمي دموعي المنهمرة على وجنتيّ من هول الفاجعة التي رأيتها هي ما تثبت لي أنني بواقع مرير لم أتمنَ بيوم أن أعيشه.

لم أفق من هذا كله إلا بعد أن صرخت بوجهي نجاة وقالت:

- ماذا تنتظرين خذي والدتك لنلحق بوالدك سريعًا.

نفذت ما أمرتني به كله دون أن أنطق بكلمة طوال مسيرنا للمستشفى كنت أسمع بكاء والدتي فقط، لساني لا يزال معقودًا رغم أن لديَّ العديد من الأسئلة التي أريد إجابات واضحة عليها، قبل ليلة كان والدي بكامل صحته، كيف جرى هذا كله؟

وصلنا ومن ثَم انطلقنا متجهين لبهو المستشفى وعلامات الفجع على وجوهنا كنا نسأل كل مَن يقابلنا وبحثنا عنه لنجده قد أدخلوه لغرفة الإنعاش حاولنا رؤيته للاطمئنان عليه لكنهم منعونًا، جلست على أحد الكراسي واضعة يدي على رأسي، أريد استيعاب ما يجري، وبعد نصف ساعة خرج لنا أحد الأطباء انطلقت نحوه، وقلت:

- كيف حال أبي يا دكتور؟ ما الذي يعاني منه؟ أرجوك أرح قلبي.

أجابني ببرود الأطباء المعتاد:

- فعلنا ما بوسعنا كله لكن هذه إرادة الله، اطلبوا له الرحمة.

توقف الزمن من حولي لم أعد أشعر بوجود أحد، ذكريات بدأت تلوح بمخيلتي ضحكته... جلسته... حبه... كلها انتزعت من حياتي كنت ألتجئ إلى حضنه عندما تضيق بي الدنيا، كيف سأعيش من دونه لم أتصور بيوم من الأيام أنني سأفقده، ألف كلمة وكلمة علقت بحنجرتي كالغصة، قلبي مفطور أريد أن أصرخ بعلو صوتي مناديه عليه، أين أنت يا أبي؟ لا تتركني وترحل ... أرجوك لا تهجرني، لتنطلق مني صرخة باكية رجّت المكان من حولي،

سقطت بعدها على الأرض وأنا أنتحب لا أريد أن أعيش هذا الواقع، كنت أتمنى لو أنني بحلم أو كابوس وسأستيقظ منه قريبًا، والدتي تضرب رأسها على الحائط، نجاة وضعت يدها على فمها من هول الصدمة لا تدري ماذا تفعل، عالمي أصبح أسود كئيبًا لا روح فيه، لقد انتهى كل شيء والواقع لا بد من إدراكه.

فهمنا بعدها أن والدي قد توفي بسبب نوبة قلبية حادة جعلته يقع من طوله، أو صدمة نفسية أوقفت قلبه عن العمل.

وذكرت لي والدتي أن بعد عودته من الشيخ العضب دخل مباشرة للغرفة وكانت على وجهه علامات الصدمة والذهول كان شاردًا غير مدرك ما يدور حوله، طلب مني عدم إزعاجه وكل ما يريده في ذاك الوقت أن يرتاح قليلًا، علمًا بأن أمي حاولت فهم منه يحتاج فقط للراحة. ما جرى مع الشيخ العضب، لكنه رد عليها بكل حدة وغضب أنه

مرت فترة العزاء ثقيلة ولا يزال الذهول يحيط بنا من كل جانب كيف حدث هذا كله؟ ما الذي حدث عند الشيخ العضب أوصل أبي لهذا الحال ولم يتحمل الصدمة، أما هناء كانت على عادتها غير

مدركة لكل ما يحاصرنا من نوائب، بل إن حالتها قد ازدادت سوءًا، وبدأت علامات السقم تظهر على جسمها، شحوب لدرجة أنني كنت أرى عظام وجهها، إضافة لتورمات وتقرحات في بعض أطرافها كيديها ورجليها، وحرارة جسمها ترتفع ما بين الحين والآخر.

الوضع بات لغزًا لا أعرف إجاباته، إلى أن جاءني اتصال من طلال يريد تهدئة نفسي وليؤدي واجب العزاء بأبي، كانت كلماته كالمرهم الذي يداوي بها خاطري، وصوته جعلني أشعر بالراحة بعض الغرباء يأتون من العدم لكنهم كالوسادة التي تجعل روحك لا ترتاح إلا عليها، لا أدري لماذا كنت أحتاج الجلوس معه، وقبل نهاية المكالمة قلت له:

- هل لديك مانع لو قابلتكَ مساء الغد؟

لم يرفض قَط؛ بل وافق بكل راحبة صدر، وقبل أن ينهي المكالمة قال:

- سلمى لا تخفي أي شيء بقلبك، إذا قابلتكِ أخرجي ما يزعجكِ كله، أو يثقل كاهلك فكلي آذان مُصغية.

آه لكلماته... كانت كالمسكن الذي يهدأ معه صخب روحي الصارخة، لا أدري ما الكيمياء التي جعلتني ألوذ لهذا الشخص الذي أعتبره في الوقت الحالي هو الملاذ الآمن.

لاحت على مبسمي طيف ابتسامة خجل وأنا أفكر في طلال، كنت أترقب وأحسب الساعات كلها للقائه، لم تمضِ دقائق يسيرة لأبي عند ذلك الشيخ على حالي هذا، إلا وهاجس ما حدث لأبي عند ذلك الشيخ يهاجمني كوحش مكشر عن أنيابه معلنًا عن أن الأيام القادمة ستكون حالكة السواد.

انطلقت مسرعة لغرفة والدي لعلي أجد عنوان الشيخ، حتى أذهب له وأفهم منه الحقيقة الغائبة عنا، والمحزن أنني لم أجد أي شيء يخصه، سألت أمي عن أصدقاء والدي، لعل أحدهم يعرف عنوانه.

كانت ليلة مليئة بالاتصالات على المقربين، بينما أمي كانت ترفض فكرة ذهابي للعضب بحجة خوفها عليَّ بأن يصيبني مثلما حصل لأبي، رفضت ما تقوله كله وكنت مُصرّة على الذهاب إليه، وحدسي يقول لي إن سر انقاذ هناء مع ذلك الرجل، ناهيك أن حالتها تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، محاولاتي كلها باءت بالفشل.

وبالوقت نفسه لديَّ أسئلة أريد الإجابة عليها، وأول شخص فكرت به هو طلال الذي من المحتمل أن تكون لديه المفاتيح التي توصلنا لذلك العضب، الذي سمعت عنه الكثير لكن لم أره أو ألتقيه، فمن المؤكد أن بجعبته الكثير من الإجابات الواضحة.

18

ما بين النوم واليقظة، دخلت هناء لغرفتي مدت يدها لتأخذني معها، وكنت مسيرة تمامًا، لم أرفض ما قامت به كنت أتبعها بهدوء واستسلام، سرنا لنصل لفناء البيت الأمامي، كانت الإضاءة خافته بالكاد نبصر الأشياء من حولنا، لم أدرك الوقت حينها وربما كنا في ساعة متأخرة بعد منتصف الليل.

جلسنا على أحد الكراسي وكانت تنظر لي بشرود بينما أنا أبادلها النظرات بشفقة، لم نتحدث بأية كلمة فقط عيوننا هى ما كانت تعبر عما بداخلنا من آلام، ليقطع هذا المشهد الغريب صوت طرقات على الباب الخارجي، نهضت هناء وتوجهت لتفتحه وكانت المفاجأة عندما رأيت تلك المرأة الطويلة التي زارتنا في المنزل ودلتنا على الشيخ العضب، وهي نفسها التي التقيت بها عندما خرجت من ذلك المنزل الغريب وأنقذتنا من تلك الأهوال التي شهدناها به كما وصفتها بالسابق طويلة جدًّا، وترتدي عباءة سوداء وتغطي وجهها بالنقاب.

دخلت بهدوء لتجلس معنا بالطريقة نفسها ولم تتحدث بأية كلمة، كانت هادئة، وبلمح البصر تغير كل شيء في محيطنا ولم نعد بالمكان نفسه الذي كنا به وانتقلنا بسرعة البرق لمكان مختلف، نظرت لقدمي لأجدها تقف على سطح رملي، عكس ما كنا عليه واقفين، نظرت في الأرجاء فإنها صحراء متناهية الأطراف والجو بها رطب خانق، والرائحة الكبريتية هي ما تملأه.

سمعت صوتًا خرج من العدم كزئير الأسد، التفت أبحث عن مصدره بفزع لم أرَ شيئًا، كان يقول بكلمات غير مفهومة:

- شريعتنا قائمة على المواثيق والعهود، وأنتِ أخللتِ بنظامنا، وهذا سبب غضب سيدنا وكبيرنا، ارجع إلى رشدك والتزم بمهامك وتذكر أن الارتباط مع البشر ممنوع والتواصل معهم محظور، وإلا سيقع عليك سخط الكبير وستحاكم أمام الجميع وتفقد مكانتك وقدراتك، أنت هنا مجرد منفذ للمهمات وعليك العودة للبيت المسحور حالًا كما أخبرناك، تمردك الذي سببه رغباتك سيوصلك للعدم وسيقضي عليك.

هنا تغير المشهد مرة أخرى، رأيت ذلك الشخص الذي لم يكن ذو ملامح واضحة، ووجه شبه مطموس وأعلى رأسه قرنان صغيران جسمه مملوء بالعضلات والعروق النافرة، يجلس على ركبتيه ورأسه منكس للأرض، لم يجب على الكلام الذي سمعناه جميعنا.

تغيرت النبرة لأسمع أحدهم يقول:

- أنت أحد المؤهلين لتكون الملك، عهدك فقط يكون مع بني جنسك، وستفقد قوتك كلها عندما ترتبط مع هذه الأنسية، ألا تعلم أنك أنت الملقب بالسقم الذي يتفشى بأجسام ضحايا الموكلين والأعوان كلهم، ارضخ لقوانيننا تمردك سيسلبك مميزاتك كلها.

لم أفهم ما يدور هنا كانت هناء تجلس بجانب ذلك الجسم المكور الذي بات هو الآخر مصاب بمثل أعراض مرضها، مسلوب الإرادة فقط يستمع لما يدور حوله.

كنت جالسة أنظر فقط وقلت لأختي مستفسرة:

- ما الذي يجري يا هناء؟ ما هذا المكان الذي جلبتيه لنا؟ ما تلك الأصوات التي لم أفهمها ؟

قاطعتني تلك المرأة الطويلة، وقالت بصوت واثق وهي توجه كلامها لي:

- لا تبحثي عن الحقيقة، الحقيقة بعض الأحيان تودي إلى الهلاك.

عاد الصوت الأول الذي يزأر كالأسد:

- كفاكم ما أصابكم جراء عنادكم ويحثكم وراء ما تدعونه حقيقة، نحن لا نريد إلا تلك التي أصابتها لعنة السقم قدموها لنا كالقربان، وبعدها ستعيشون كما تريدون.

قالت المرأة ذات الرداء الأسود:

- لم أنهِ ما بدأت به يا سيدي، هؤلاء البشر أغبياء لا يفهمون تلك الرسائل غير المباشرة خسائرهم تزداد يومًا بعد يوم، وسليل لا يزال متمردًا على القواعد، ويحب تلك الحمقاء، التي لا تمثل سوى التفاهة.

بهذه اللحظة كانت أختي بحالة مزرية، عيناها يشع منهما ضوء قريب من لون النار اللظى، وهناك هالة تنبثق منها تحيط بها من كل جانب.

عاد صوت الزئير وقال:

- الفظ يا سليل هالة تلك التي خططت للسيطرة عليها، عليك البقاء معنا، ارتباطك مع بني جنسك فقط، ما نقوم به كله هو محاولة لإنقاذك مصير هناء بات محسومًا عُد لنا الآن.

فجأة ظهرت زوابع عديدة بعيدة لم أفهم ما سبب ظهورها خلفنا، كنت أنتظر من هناء أو سليل أن يتحدثا، قالت المرأة ذات الرداء الأسود:

- هذا السقم لن يكون لأحد سواي، ولن يتم ارتباطه بي إلا بتقديم روح من يريد كقربان لإتمام الزواج.

لم أفهم كل تلك الأحداث الحاصلة آنذاك، كنت تائهة لا أدري هل هذا حلم أم أنها حقيقة واقعة، اختفى الجسم الذي كان جالسًا على ركبتيه بجانب هناء تقدمت بخطوات ثقيلة محاولة إنقاذ أختي التي رفعت رأسها محاولة النهوض، والخوف يغطي كامل جسمها شعاع خافت توجه إليها قادمًا من السماء أحاطها، سقطت مرة أخرى على تلك الرمال رمادية اللون، رأيتها تتلوى من الألم، فتحت فاها على مصراعيه، ظهر جسم سليل مرة أخرى يقف على قدميه، مد يده ناحية هناء ثم رفعها عاليًا، كانت هناك أبخرة تنبثق من جسمها ، بل هو

دخان أسود يخرج ببطء شديد من فهمها، وهي ترتجف كأنها سمكة للتو خرجت من الماء، بعد ذلك قام برميها على الأرض بشدة، شعرت بألم هناء التي كانت تصرخ بعلو صوتها بعد ارتطام جسمها بالأرض، وتوقف بعدها كل شيء كأنها أصبحت جثة هامدة.

لأسمع بعدها سليل يقول:

- كنت أتمنى أن تكوني لي إلى الأبد، عليَّ الانصياع لقوانيننا وتنفيذ ما يطلبه أعواننا نحن أسياد ذلك البيت، وحراس تلك البوابة التي فُتحت داخله وكل مَن يقترب مني يصاب بالسقم.

اختفى بعدها كأنه لم يكن، انطلقت بسرعة نحو جسم هناء المسجى على الأرض الرمادية، تحررت من تلك الأغلال غير المرئية، بدأت أنادي على اسمها أريد التأكد هل ما زالت على قيد الحياة، رفعت رأسي لأجد تلك المرأة الطويلة تقف أمامي، وهي تقول:

- حُسمت الأمور وعادت الأوضاع كلها كما كانت، لا تبحثي عن أشياء لا تعرفيها، لستِ أنتِ المرصودة، أيدي من تحبون هي من جلبت هذا

السقم لكم، لا تراجع وعلينا تنفيذ المهمة لقد انتهى كل شيء.

كنت أريد أن أفهم لماذا تتحدث معي بتلك الكلمات المبهمة، اختفت مثلما اختفى سليل، كنت أحاول أن أنقذ أختي، ومن دون أية مقدمات تغيّر المشهد العام مرة أخرى لأجد نفسي أعود لفناء منزلنا، وعادت الأمور كلها طبيعية وكل الذين كانوا حولي قد اختفوا، مرددة تلك الكلمات:

- هناء هل تسمعيني؟ بالله عليك لا أريد فقدانك.

وضعت رأسي على صدرها أريد سماع نبضات قلبها، التي شعرت بها بطيئة مع أنفاسها المكتومة، حملتها بين يدي لأنها لم تكن بالثقيلة كونها فقدت الكثير من وزنها، ورجعت بها لغرفتها، فهمت هنا أنه لم يكن حلمًا بل حقيقة لا مناص منها.

19

كنت خائفة كثيرًا، تائهة لا أعرف ما الذي أفعله، النوم هجر أجفاني، بينما استلقت هناء على فراشها بإعياء وذبول، يكاد الموت أن يفترسها، باختصار كنت أراها جثة حية شارفت على الهلاك، باتت لا تتكلم وإذا ما أفاقت تنظر بشرود كأن هناك أحدًا يجلس أمامها، لا تأكل وبين الحين والآخر تطلب شربة ماء لتروي ظمأ عروقها، أصبح الأجل يقف ملتصقًا خلف بابها، ومع كل دقيقة تمر عليها يقترب منها أكثر فأكثر.

اتصلت بطلال مباشرة بعد تلك الليلة الغريبة، وطلبت منه مقابلته في أسرع وقت ممكن، بسبب الأحداث الجديدة التي طرأت علينا.

وبالفعل كما توقعت لم يرفض طلبي للالتقاء به في المكان نفسه الذي تقابلنا به سابقًا، لا أنكر حالتي النفسية تبدأ بالهدوء واستقر روحيًا عندما أرى هذا الرجل، مشاعري تحثني على المضي نحوه، كنت أكبح جماح أحاسيسي ظنًّا مني أنها خادعة، ولا أريدها أن تندفع هذا الاندفاع كله، لكنني على يقين الآن أن هناك إحساسًا حقيقيًّا بأن هذا الرجل يبادلني المشاعر نفسها.

أول جملة قلتها له قبل السلام بعد أن ارتوت روحي برؤيته:

- هناء تذوب أمامي كقطعة ثلج لا أعرف كيف أنقذها من هذا كله.

قال لي باستفسار:

- ما الذي جرى؟ ما بكِ؟ لما كل هذا اليأس الذي يعلو صوتك؟

رددت عليه وقلت:

- المنزل المشؤوم وقاطنيه لا ينفكون عن مطاردتنا.

وعند هذه النقطة، قال لي طلال مستفسرًا:

- ألم تعرفي حتى الآن ما سبب ارتباطها به؟

أجبته قائلة وأنا في حيرة من أمري:

- الإجابة على هذا السؤال كانت في جعبة أبي، والقدر لم يمهلني كي ألتقي به وخطفه مني بالموت، لا أدري ما الذي جعله يصل لهذه النهاية، وأنا على يقين بأن هناك شيئًا قد صدمه بقوة لدرجة أن قلبه لم يعد قادرًا على التحمل

وتوقف عن عمله، رغم أنه لا يعاني من أي عارض صحي.

لم أجد بعد كلامي أية إجابة واضحة منه كأنه تائه مثلي، قطعت تلك الحالة وقلت:

- أيضًا هناك حدث نشأ من العدم لا تأويل له سوى أنني سأفقد عقلي.

وذكرت له الواقعة بكامل تفاصيلها ومن دون أي نقصان بداية من لحظة وجودي بفناء المنزل، إلى نهاية المشهد الغريب الذي لم أجد له أي تفسير حقيقي.

ردَّ عليَّ قائلًا:

- العمل الذي جعل شقيقتكِ تصل لهذا الحال ليس بالسحر العادي ومدبر له بإتقان، وهناك رسائل واضحة وهذا ما استنتجته مما حصل لك ليلة أمس، علينا أن نفكر بموضوعية أكثر، ونبتعد قليلًا عن العواطف.

وقبل أن ينهي حديثة قال بتوجس:

- هل أنتِ متأكدة بأنك كنت بكامل وعيك ولم يكن حلمًا؟

أجبته بثقة واضحة:

- لا يا طلال لم يكن حلمًا، إنه واقع جَلي، والدليل عندما افقت من تلك الحالة وجدت نفسي بغناء المنزل وهناء ممددة بجانبي غير ذلك أصوات الأشخاص كانت لا تزال أصداها عالقة بأذني، وتلك المرأة التي كنت أقابلها بالواقع. كانت حاضرة معي في قلب المشهد، إلا ذلك الرجل الضخم الذي كان جاثيًا على قدميه لم أعرفه، علما بإن إحساسي الداخلي يخبرني بأنني قد التقيت به سابقًا.

مط شفتيه وقال:

- ليس أمامنا الآن إلا حلًا واحدًا، علينا الذهاب لمنزل ذلك الشيخ الذي يدعى العضب، كي نعرف ما الذي أخبر به والدك.

قلت له بأسى:

- لا أعرف عنوان ذلك الشيخ، المعلومات كلها يملكها والدي رحمة الله عليه، ولم يطلعنا عليها، لم نتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

ردَّ عليَّ بعد أن شعرت أنه قد وصل لحل:

- إذن من الممكن أن تتبعيني بسيارتك، لدي صديق على ما أعتقد إنه يعرف أشخاصًا سيدلوننا على منزل هذا الشيخ.

اتسعت عيناي من السعادة وقلت:

- هل نستطيع فعل هذا الآن، سامحني على وقاحتي بتلك الطلبات غير المبررة مني، الوقت ينفد، إنني أفقد أختي والحلول المطروحة كلها ما هي إلا طوق نجاة لإنقاذها.

هز رأسه وقال:

- هيَّا بنا الآن لا نريد تضيع الوقت، أعلم جيدًا أنك لا تستطيعين مرافقتي بسيارتي، اتبعيني أو إنك تنتظرين هنا، إلى أن أعود لكِ.

لا أستطيع الانتظار، أنت تعلم أننا بفترة الثمانينيات لا يوجد هواتف محمولة، تختصر المسافات البعيدة، بهذا الوقت كل شيء يحتاج لجهد مضاعف.

قلت له بحماس:

- لا... لن أنتظرك هنا، فلم يعد للصبر مكان في حياتي، سأتبعك كي نكسب المزيد من الوقت.

انطلقنا مسرعين لعنوان ذلك الشخص الذي ذكره لي طلال، كان باب الأمل يفتح أمامي مجددًا، وبعد ساعة تقريبًا من المشاوير المعقدة، استطاع طلال أن يصل لعنوان العضب الشمس تعطينا ظهرها متجهة ناحية الغروب، أخبرته قائلة:

- طلال ... أعرف جيدًا أنني أزعجكَ معي بمشاكل عائلتي، وأشكركَ جزيل الشكر على مساعدتكَ لي ووقوفكَ إلى جانبي بمحنتي، ولكن هل لي بطلب آخر؟ إن كنت لا تمانع أن نذهب لهذا العنوان بهذا الوقت، وسأتفهم الوضع في وأنا متأسفة لذلك. حال أنك رفضت طلبي هذا لقد أجهدتك كثيرًا اليوم، ابتسم وقال:

- يبدو أنكِ أصبحتِ جزءًا من قدري، بالتأكيد سأرافقك الآن أنا نفَسي أريد أن نصل الجواب واضح، هيا بنا لنذهب حالًا.

انطلقنا متجهِين لبيت العضب، وأحاسيسي تتراقص من الداخل، كنت أسير نحو هدفين محددين، الأول إنقاذ أختي هناء وتهدئة حدة المصائب التي أمطرت حياتنا بلا توقف من فترة ليست باليسيرة، أما المطمع الآخر فهو متمثلًا بقلبي الذي من المحتمل

قد وصل للشخص الحقيقي الذي سيعوضني عما فاتني كله.

توقفنا بعد أن دخلنا بمتاهات ودهاليز ضاحية مريبة، الليل يدخل على استحياء، ترجل طلال من مركبته وقال:

- انتظريني هنا، وإياكِ والخروج من السيارة؛ المنطقة لا تبدو آمنة.

لم أجبه فقط ابتسمت بخجل واضح على محياي، شعور آخر راودني له معنى واحد، أن هذا الرجل يخاف عليَّ وهذا دليل أن لي مكانة خاصة في قلبه، انتبهت لنفسي وبعدها طردت تلك الأفكار وقلت:

- لننهي تلك المهمة الآن بعدها أتأكد من هذه المشاعر.

مر وقت ليس بطويل كنت أرى طلال يقف أمام المنزل المراد ويقف أمامه شاب يبدو فى أوائل العقد الثاني من عمره يتبادلان بعض الكلمات، ولم تطل تلك المحادثة كثيرًا، عاد بعدها وبصحبته الرجل الآخر ووقفا الاثنان بجانب سيارتي في البداية لم يتكلما ليقطع طلال الصمت وقال:

- العضب مات يا سلمى.

وضعت يدي على فمي من الصدمة، أريد استيعاب ما قاله، أكمل كلامه:

- هذا الرجل الذي بجانبي أحد أبنائه وهو مَن أخبرني بموته.

قال ابن العضب:

- اعتذر منك يا سيدتي والدي وجد مقتولًا قبل يومين بغرفته.

زاد اندهاشي وقلت:

- عظم الله أجرك، لا أدري ماذا أقول، كل ما يحدث غريب جدًّا، وعليه آلاف علامات الاستفهام، موت والدي وموت الشيخ، مصادفة لا تفسير لها.

قطع طلال اللحظات تلك وقال موجهًا كلامه لولد العضب:

- على أي حال وجدتموه؟

رد محاولًا ترتيب أفكاره وقال:

- لقد نهض المنزل قبل يومين من هذا التاريخ على صراخ أبي بوقت متأخر من الليل، انطلقت مع أخوتي إلى غرفته التي كان يجلس بها أغلب

وقته، كانت مقفولة من الداخل، طرقنا الباب ولم نجد أي رد، استمرينا على هذا الأكثر من خمس دقائق، وبالأخير قررنا اقتحامها، والمفاجأة التي كانت تنتظرنا جعلتنا بحالة ذهول، لقد وجدنا أبي بملابسه الداخلية فقط ممددًا بوسط الغرفة، فاتحًا فاه، وعيناه جاحظتان كأنه قد رأى مشهدًا مرعبًا جعله بهذا الحال قبل أن يموت، غير ذلك تلك البقع السوداء التي ملأت جسده بالكامل، كان منظرًا يثير الرعب والاشمئزاز بينما هناك رائحة كبريتية قد انتشرت، تشعر أن الغرفة قد احترقت لكن لا أثر لأية نيران بها، الأدهى من ذلك كلنا نعلم أن هذا المكان كان مليء بالكتب وبعض الأمور التي كان يحتاجها والدي لعمله، اختفت كلها لم نجد سوى ملابسه فقط، بعدها أخبرنا الشرطة التي جاءت وفتحت تحقيقًا كاملًا معتقدة أن هناك جريمة قتل قد حدثت هنا ولا يزال التحقيق جاريًا.

أخرستني المفاجأة وسط اندهاش طلال، لم يكن لدي أي تعليق سوى الصدمة الداخلية التي اعترتني بعدها قال طلال:

- لا أدري ماذا أقول لك، وأتمنى لفقيدكم الرحمة ولكم الصبر والسلوان.

شكرناه على ما أخبرنا به، وبعدها رحل الرجل بهدوء مثلما جاء، كنت وقتها أنظر لوجه طلال الذي بقي صامتًا، وهممت على تشغيل محرك مركبتي ثم وجهت كلامي له وقلت:

- أعلم أن كل أبواب الأمل قد سدت والحلول قد استنفدت ولم يبقَ لنا سوى أمر واحد وهو الصبر وانتظار ما سيحل علينا، أشكرك على كل ما فعلته لي، لقد أزعجتك كثيرًا، لا أدري ماذا أفعل لكي أرد لكَ جميلك هذا؟

قال طلال موضحًا:

- أرجوك... لا أريد سماع هذه الكلمات مرة أخرى، لم أفعل شيئًا سوى أنني كنت أريد المساعدة، ولديَّ طلب أخير قبل رحيلك.

قلت له:

- تفضل ... قل ما عندك ولا أظنني أمانع ما ستطلبه مني.

أجابني بعد أن قرب وجهه من نافذة السيارة وقال:

- لا ترددي ولا لحظة في حال كنت تريدين طلب أي شيء آخر، كما تعلمين المدة التي قضيتها معك بسيطة، لكن هناك شعور يراودني كلما فكرت بكِ بأنني أعرفك منذ زمن طويل، وأعدك أنني سأبحث عن حلول من الممكن أن تساعدك على عودة شقيقتك إلى طبيعتها.

شعرت بالارتباك والخجل بعد حديثه هذا، ولم تكن لدي أية

إجابة، جملتي الوحيدة التي قلتها على استحياء:

- حسنًا، أستأذنك الآن بات الوقت متأخرًا.

طوال طريق عودتي كان هناك شعور داخلي يدغدغ مشاعري، كنت أقول هل هذا هو ما يسمى بالحب الذي دائمًا ما كنت أراه بالأفلام والمسلسلات؟ أو أن كل الذي يفعله طلال على سبيل العطف فقط ويريد به مساعدتي؟ وطبعًا تلك الأسئلة كلها لم أجد لها أية إجابة سوى أنني لا أدري.

20

أعلم أن عودتي للمنزل ستقضي على نشوة الشعور الجميل الذي غزا كياني قبل قليل، كنت أتفكر بطلال؛ هذا الرجل الشهم الحساس الذي أحاطني باهتمام لم يسبق لي أن شعرت به، وبما أن الحلول كلها التي كنت أظنها ستنقذ هناء قد تلاشت من أمامنا، ولا سبيل لنا سوى الانتظار وتركها للصدف، قررت يومها أن أكرس مجهوداتي للتقرب من طلال والعيش معه حياة وردية كما كنت أتمنى.

العودة للواقع بعض الأحيان تكون أمرًا متعبًا، بعد أن تخدرت في عالم الخيال قليلًا، فهناء العليلة بانتظاري؛ كي أخلصها من آلامها، لكن ما باليد حيلة ولم يعد باستطاعتي فعل أي شيء، وأمي باتت تدخل بدائرة الاكتئاب بسبب هروبها من الجميع وبقائها بغرفتها طوال الوقت، فهي ترفض مقابلة أي شخص خارج حدود أسرتنا وبالأخص صديقتها وحبيبتها نجاة جارتنا الشمطاء، كما أنها قليلة الجلوس معنا وهذا كله بعد وفاة والدي.

بعد أن فتحت باب المنزل مباشرة، رأيت والدتي وهي تجلس في الصالة نظرت لي بحدة وقالت:

- أين كنتِ كل هذا الوقت؟

أجبتها بعد أن قبّلت رأسها:

- أبحث عن حلول أنقذ بها حياة ابنتكِ.

تغيرت ملامح وجه أمي فجأة وقالت بصوت مضطرب:

- هناء تأن من الألم، إننا نفقدها ببطء، دعينا نذهب بها للمستشفى؛ لعلنا نخفف عنها.

قلت لها بيأس:

- أمي ... لقد درنا بها مستشفيات الكويت كلّها، والجميع أكد أن ابنتكِ تعاني من سوء تغذية فقط، لا أمراض عضوية ظاهرة، أعلم بكمية الخيبة التي تحيط بنا، لكن ليس باليد حيلة، هناء تعاني من أعراض عمل شيطاني، إنها مسحورة أو محسودة، جمال هناء ولباقتها وأنوثتها الطاغية لافتة للنظر، لعلها أشلعت نار الغيرة في قلب إحداهن.

ما إن انتهيت من جملتي تلك، لتلفت لي والدتي كأنها تسمعها لأول مرة، ولم تتكلم.

كنت وقتها متعبة، لا أريد أن أدخل معها بأية نقاشات طويلة. كل ما أريده الذهاب لغرفتي، قلبي لم يطاوعني لا بد من زيارة شقيقتي للاطمئنان عليها.

كانت ممددة على سريرها تنظر للسقف من دون أي حراك وعلامات الذبول تحتويها، وألقيت عليها تحيتي وسألتها عن حالها ثم نظرت لي بتعب، وأجابتني بإعياء:

- لقد انتهى كل شيء يا سلمى، لم يتبقَ مني إلا القليل.

أمسكت يدها وقلت:

- أعرفك جيدًا ... أنتِ محاربة شجاعة وقوية، لن تسمحي للمرض أو غيره بالتغلب عليك، لا أنكر أنك تعبت من مواجهة معاركِ بالوقت الحالي، لكنني متأكدة أنك ستكسبين الحرب في النهاية.

ردت علي بتعب شديد وبالكاد الكلمات تخرج منها:

- أتذكرين ذلك الكيان الذي كان معنا ليلة البارحة، والذي كان جاثيًا على قدميه؟ أتاني اليوم مكبل يعتذر عن كل ما فات.

قاطعتها وقلت:

- أتقصدين تلك الأحداث التي كنا بها، والأصوات التي سمعناها، وتلك المرأة التي كانت تهدد، وذلك الرجل الذي كان مكسورًا بيننا؟ هل هذا كله كان واقعًا ولم يكن حلمًا؟

هزت رأسها بالإيجاب وقالت:

- بالفعل مثل ما قلتِ.

عقدت حاجبيّ من الغرابة، وقلت:

- ماذا يريد؟ ولماذا يأتي ويعتذر؟

أجابتني بوهن:

- إنه سليل.

اتسعت عيناي من الصدمة، وقلت:

- سليل؛ ذلك الشيطان الذي أوصلكِ لهذا الحال؟

قالت بتعب:

- نعم هو نفسه، الأمور خرجت عن سيطرته، وعشيرته تهدده، ويطلب مني السماح عن كل ما فعله بي فهو لا يريد إيذائي، أو بمعنى أدق هو جزء من قبيلة كبيرة من الجن، كان مخولًا بمهمة ما، لكنه وقع بحبي ولم يستطع أن يتوقف عن اندفاعه نحوي، وفعل المستحيل من أجل أن يكسب قلبي وقوانين قومه تمنعه من الاقتراب مني وما جرى ليلة أمس لم يكن سوى محاكمته على تمرده عليهم، ليبتعد عني ويرضخ لهم.

كما توقع طلال، هؤلاء قوم من الشياطين الموكلين، قلت مستفسرة:

- هل هذا يعني أنك ستعودين كما كنتِ يا هناء بعد أن يرحل هذا الملعون؟

أجابتني بعد أن أخذ منها التعب ما أخذ:

- سقم.... آخر كلمة سمعتها منه سقم، وبعدها ذاب من أمامي.

لم أفهم ما قالته لي، ماذا تقصد بالسقم، سألتها؟

- ماذا؟ لم أفهم؟

ثم أردفتُ حديثي قائلة:

- لا يهمني سليل أو سقم، أريد أن تعود لكِ عافيتكِ كما كانت أريدك أن ترجعي البهجة والحيوية لنا من جديد، أنتِ الشمعة التي تنير حياتنا المظلمة.

أجابتني بتثاقل واضح على صوتها:

- كل الذي أريد أن أفهمك إياه، إذا لم يقتلني سحره، سيقتلني عشقه.

نظرت لها وقلت:

- هل أنتِ واقعة بحبه إلى هذا الحد؟

هزت رأسها بالموافقة، أردفت كلامي:

- هل أعطاكِ الترياق لسمه، المحبون لا يقتلون، هذا الذي أعرفه عنهم.

كانت تنظر لي بابتسامة هادئة، لم تجبني، قلت لها بتوسل:

- أرجوكِ أجيبي يا هناء.... لا أريد أن أفقدكِ.

قالت بصوت مبحوح:

- لا يعرف ألم المحبين إلا من ذاق طعم خيبتهم.

كان كلامها مبروزًا بالطلاسم والعقد العديدة، كنت صامتة بعد جملتها تلك، ماذا تقصد بألم المحبين؟ لم أشعر به من قبل.

غابت عن الوعي مرة أخرى، وضعت يدي على رأسي من الحيرة، كالعادة أقف تائهة لا أعرف كيفية التصرف، سمعت طرقات على الباب، خرجت لأجد الخادمة تقول لي إن هناك أحدًا يردني على الهاتف، انطلقت بخطوات ثقيلة نحوه، لأسمع:

- سلمى... وصلت لحل معقول من الممكن أن ينقذ أختك.

صوته الدافئ الذي يغذي روحي إنه طلال، أجبته بعد أن هدأت أنفاسي:

- طلال... هل أنت متأكد أن لديك الحل؟ قبل قليل كنت حائرًا مثلي.

قال لي:

- لا مجال للتأخير ليس لدينا من الوقت الكثير.

قلت له بحماس منتظرة منه الحل:

- ما الطريقة التي اكتشفها؟

أجاب بعد صمت يسير:

- الليلة بعد الثانية عشرة من منتصف الليل عليك الوجود أمام الدار المسكونة التي التقيتكِ بها أول مرة.

زادت نبضات قلبي بعد سماعي ما قاله، وقلت:

- ماذا؟ لماذا بهذا الوقت؟ أنتَ تعرف جيدًا صعوبة خروجي بهذه الساعة.

رد عليَّ بهدوء:

- ليس أمامنا أية حلول أخرى، علينا الإسراع قبل فوات الأوان، يجب عليك الوجود مع أختكِ أمام البيت بالساعة نفسها التي ذكرتها لكِ، هذه

الفرصة الأخيرة، تذكري هذا جيدًا، لا أريدكِ أن تفقديها.

قلت له وعيناي زائغتان:

- كيف وصلت لهذا الحل، ولماذا تعتبر هذه الفرصة الأخيرة؟

أجابني وقال:

- عندما تصلين هناك سأخبرك بالموضوع كله، وهناك أشياء أخرى ستعرفينها بمجرد وصولك، استعدي نفسيًا، بصراحة ومن الممكن أن نواجه أمورًا غريبة ومخيفة.

لا أنكر أنني شعرت ببعض من الخوف، وقلت:

- طلال قلبي لا يتحمل المزيد.

رد محاولًا تخفيف وطأة ما سمعت:

- لا تقلقي سأكون بجانبكِ، لن أتخلى عنكِ.

عندما سمعت جملته تلك قلبي تحول إلى بستان تزهر وروده أعرف أن مشاعري متناقضة، أنا نفسي بدوامة، أغلقت الهاتف وبدأت أفكر بطريقة أذهب بها لذلك المسكن، من دون أن يشعر أحد.

21

قلبي يخفق باضطراب وعينان جامدتان، وروحي ملهوفة الرؤية مَن جعلني أعيش بحالة متناقضة عن واقعي الذي أعيشه، الشخص الذي أوجد كياني، لا أدري هل هذه الدار القديمة التي أقف أمامها بغياهب الليل ستكون نقطة انطلاق جديدة وحل لإنقاذ شقيقتي، كنت مرتبكة والقلق ينسج خيوطه على أحاسيسي كلها، أنا أمام الواقع المر، وما أريده كله العودة لذلك الخيال المنعش، شردت لثوانٍ معدودة مركزة نظري على البيت الذي خيل لي أنه يراقبني بكل خبث وكأنه يقول: (مَن يزورنى مرة سيأتى مكرهًا مرة أخرى، ولا سبيل للخلاص مني)، جعلتني شبابيكه أتخيل أن هناك مَن ينظر لنا خلسة، فرحين بقدومنا كي يمارسوا معنا الألاعيب الشيطانية كلها.

- علينا الدخول الآن.

التفت خلفي لأجده واقفًا، قلبي الذي يراه هذه المرة لا عيني لا أعلم من أين ظهر لي.... قلت حينها:

- المنزل مسكون بالجن كما تعرف هل لنا القدرة على مواجهتهم ونحن عُزَّل، لا نملك أسلحة غير قلوبنا المنفطرة.

قال لي بحزم:

- مواجهة الواقع تحسم الأمور المبعثرة كلها، الهروب يدخلنا بدهاليز معقدة.

سار أمامي متقدمًا باتجاه الباب، هناء تستند على كتفي وتجر قدميها جرًّا غائبة عن الواقع، وأتلفت حولي تحفزًا لأية مفاجأة.

الذي كنت أراه أن طلال يسير بثقة، كأنه يعرف طرق هذا المكان كلها، دون أن يكترث بنظرات جامدة وقلب شعرت للحظة بأنه كالجلمود، ثباته هو ما جعلني أتحلّى ببعض من الشجاعة، أتقدم سائرة إلى المنزل الذي بات يفتح لنا فمه استعدادًا لالتهامنا.

الممر الذي كنت أسير به بالسابق نهارًا أمسى موحشًا، العتمة هي ما تزيد تخيلات عقلي، لا أدري كيف لي الدخول لمكان كدت أن أفقد عقلي به، الشيء الوحيد الذي يشعرني بالاطمئنان هذه المرة وجود هذا الرجل معي.

يتقدم طلال ولا يلتفت خلفه، ويعرف إلى أين يتجه، سار ليصعد للدور الأول كنت أسير خلفه بلا تردد، ولا أنكر أن الخوف كان يحط طائره على رأسي، كما قلت لكم بالسابق هذا الدور به العديد من الغرف،

وقعت عيني على تلك الحجرة التي شهدت بها الأحداث الغريبة في زياراتي الماضية عندما رأيت هناء تقف بوسطها عارية، دخل طلال ثم التفت وراءه ووجدني أقف بعيدة مترددة بالدخول، وحسمت أمري بالاقتراب منه، ليقول لي:

- أهم شروط تلك الليلة عدم إبداء أية ردة فعل سواء كانت سلبية أم إيجابية كل ما عليكِ الآن هو الصمت.

قلت له بصوت خافت:

- هذا هو فقط المطلوب مني الآن!

قال لي وهو يهز رأسه بالإيجاب:

- نعم هذا كل ما هو مطلوب منك، عدم الاعتراض والصمت التام.

كان هناك سؤال واحد يدور برأسي، من أين عرف طلال هذا كله؟ كنت أود أن أسأله لكن التردد والموقف الذي نحن به جعلاني أؤجله قليلًا؛ حتى تنتهي هذه المهمة التي بدأت تثير ذعري.

أمسك طلال بيد هناء وسحبها مني ليخطو خطواته بوسط الغرفة ويتركها هناك، وبدأ بالتراجع للوراء ليجلس على ركبتيه أمامها من ثم نكس رأسه

للأسفل، كنت أقول بنفسي ماذا يفعل هذا؟ وبينما أنا عاقدة جبيني من الاستغراب سمعت صوتًا أعرفه جيدًا، ويربطني بحوادث أليمة جرت في السابق، إنه صوت أغنية مسحور قادمًا من بعيد.

دورت برأسي مفزوعة أبحث عن مصدر الصوت، الذي أصبح نذير شؤم، وهو ما يؤكد لي أن بعد انتهاء هذا العرض المخيف سندخل في دوامة مع الفزع ولربما إلى ما هو أبعد، الأغنية يتردد صداها بالغرفة، هنا بدأت أسمع أصوات متداخلة كثيرة لم يتبين لي من أين تأتي، كأن الحجرة قد اكتظت بالجموع، وطلال مستمر على وضعه جالسًا على ركبتيه ناظرًا إلى الأرض.

لا تزال الترانيم تصدح وتسيطر على الوضع العام مع تكرار كلمة (مسحووور) بشكل مخيف، ثرثرة متداخلة لأصوات مختلفة فجأة توقف هذا الصخب كله، وسقطت هناء على الأرض بعدها، تقدمت خطوتين محاولة مساعدتها، لكني وجدت يد طلال تقف حاجزًا تمنعني من التقدم، وكأنها تذكرني بما قاله لي قبل الدخول وأن عليَّ عدم إبداء أية ردة فعل، تجمدت مكاني بينما قلبي يدفعني لإنقاذها، دقائق حتى ظهر لنا جسم متكور على نفسه بجانب هناء

الواقعة على الأرضية كأنه ظهر من العدم، وضع يده على رأس أختي وقال:

- لقد فات الأوان، وجودك هناك يعذبني ويجعلني أحترق من التعب، عودي لمنزلك، وجودك هنا خطر عليك، ألم أبلغك بذلك، أعدك إنك لن تريني مرة أخرى.

نعم أعرف ذلك الكيان الغريب؛ إنه نفسه الذي رأيته بتلك الليلة الغريبة وسط الصحراء، المخلوق الجاثي على ركبتيه بجانبها، المشهد نفسه يتكرر؛ إنه سليل، رفعت هناء رأسها تنظر له بضعف وقالت:

- لا مجال للتراجع يا سليل، بعدما تعمقت بروحي وأسرتها تريد مني نسيانك بهذه البساطة، بذرة الحب التي وضعتها وسط قلبي كبرت وتمددت جذورها من الصعب اجتثاثها بسهولة.

رفع رأسه الذي شع منه إحمرار مليء بالسواد، وقال بغضب:

- لن تكتمل طقوس الزفاف إلا بروحك، اهربي بسرعة لا مجال للتأخير.

لم تكن هناك أية إجابة من هناء التي كانت شبه مستسلمة الأصوات المتشابكة عادت مرة أخرى،

صخب جعل رأسي يعج بصداع رهيب خرج من العدم.

هنا وقعت عيني بعينه، كأنها رسالة منه لي يطلب مني مساعدتها، لم أستطع تلبية نداء استغاثته لإنقاذ شقيقتي، تخشبت بمكاني، لم أقدر على الحراك.

طلال مواصلًا جلوسه على ركبتيه ويشاهد ما يجري كله من دون إبداء أي اعتراض، كل شيء حولي أصبح رماديًّا، لتخرج بعدها من وراء جسد سليل تلك المرأة ذات العباءة السوداء ودائمًا ما تلبس النقاب، وهي تردد بعض الكلمات غير المفهومة لتقف وتقول جملة لا يزال صداها يتردد بأذني إلى الآن:

- من يلتقي بسقم ... لن يذق إلا الندم.

كانت لكلماتها وقع على قلبي، وما أن انتهت حتى بدأ جسمها يرتجف كأن صاعقة حلت عليها من السماء، بينما كتلة من النار بدأت تحيط بسليل الذي ظل على وضعه ولا يبدي أية مقاومة، عادت تلك المرأة وقالت:

- بهذه الليلة القمرية ستكتمل الطقوس، سليل سيعود إلى سابق عهده، بتلك الأرواح التي ستسلب من أصحابها اليوم، نحن أولى ببني

جنسنا، هم من فتحوا البوابات وهم مَن طلبوا العون هم مَن سيدفعون الثمن، كل مَن اقترب منا وأصابه السقم، ستقدم روحه قربانًا لنا، حتى تتم مراسيم ارتباطي بسليل الملقب بالسقم، وهذا انتقامي ممن تحاول الاقتراب منه.

رفع طلال رأسه كأن الكلام الذي سمعه من تلك المرأة أثار حفيظته، ثم قال:

- لماذا تقولين القرابين، هو قربان واحد سيقدم اليوم، بروح هذه البائسة.

وسبابته تشير إلى هناء.

22

ظلت هناء تنتفض بمكانها، بينما أشعر بأن جسمي مكبلًا وكأن أحدهم صب في جوفي معدن الحديد أثقلني وجمدني، لا أستطيع تحريك أي جزء من بدني عدا رأسي وأعضاءه، هَمَّ طلال واقفًا وتقدم إلى تلك المرأة ذات العباءة، وقال:

- كلامكِ غير مفهوم، عن أية قرابين تتكلمين؟ انهِ هذه الطقوس واسلبي روح تلك المرأة، اوفي بعهدكِ مثلما وفيتَ أنا به ونفذت لكم كل ما تريدون.

اقتربت المرأة منه وهي تضحك باستفزاز، ثم قالت:

- لا تستعجل ... ستُسلب الأرواح في هذه الليلة القمرية، ويعود كل شيء لمكانه الصحيح، ويبقى هذا البيت شرًّا لكل مَن يقترب منه، أو يدفن أسراره به، والسقم لن يخطئ كل من أصابته لعنته، لا عهود بيننا، أما أنت لم تكن سوى أداة لمساعدتي للوصول لما أصبو إليه.

كنت صامتة والذهول يهالني بعد سماع تلك الجمل التي استوعبت مغزى بعضها بينما الغموض يغلف الكثير منها، أردفت ذات الرداء الأسود كلامها وقالت:

- هذا ثمن أخطائك السابقة، الليلة ستدفع روح مَن تحب، لولوة سترتاح من اليوم وإلى الأبد، وستبقى لعنتها تطاردك مهما حييت لن نكافئك بالموت كما تظن، ستعيش بعذاب يذيب فؤادك من ألمه، عندما تكون الحياة نقمة تتمنى وقتها أن تدفن حيًّا.

قال طلال بعينين مفزوعتين:

- هل تقصدين أنك ستسلبين روح لولوة أيضًا، ألن تكفيكم روح هناء، لقد نفذت كل ما أردتموه مني، أخرجوني من دائرتكم السوداء.

مَن هي لولوة الذي نطق اسمها طلال؟ وعن أية أرواح ستسلب أكاد أجن، العديد من الأحداث المتشابكة، هناء واصلت انفاضاتها لدقائق بعد آخر جملة تفوه بها طلال، لأراها تقف على قدميها ثم فتحت فمها، وعادت نغمات أغنية مسحور من جديد لكن هذه المرة بطريقة مختلفة كلمات الأغنية معكوسة، تشعر أنها ثقيلة وغير مفهومة، ليخرج منها دخان أسود راح يسبح في أرجاء الغرفة لينتقل مرة أخرى ويدخل بجسم سليل الجالس على ركبتيه، ليرتج المكان وتتوقف الضوضاء كلها من حولنا، وما

أن هذا الوضع واختفى الدخان لتسقط أختي على الأرض بشدة.

تحررت أخيرًا من كل القيود التي شلتني وانطلقت ناحيتها أريد أن أرى مَا الذي حدث لها، بينما وقف طلال الذي كان مشتتًا بالكامل ينتقل بنظره ما بين المرأة الشريرة ذات الرداء الأسود وباب الخروج من الغرفة، ليحسم أمره وينطلق خارجًا منها بينما كنت أريد أن أفهم ما الذي أصاب هناء، وضعت يدي تحت رأسها، كانت كخرقة بالية، لأول مرة أشعر أن هناء أصبحت بلا روح، الوجه الأزرق والشحوب جفاف الشفاه وجمود العينين، مؤشرات أكيدة على أن هناء قد فارقت الحياة، لم أرد أن أصدق تلك الحقيقة تمسكت ببعض من الأمل، قربت أذني ناحية قلبها أريد التأكد هل هي على قيد الحياة، لا أشعر بشيء... لا نبض ولا نَفَس، شقيقتي غابت عن دنيانا وهي مثقلة بآلام وحسرة على قصة حب من المستحيل أن تكتمل الحياة وردية كانت تتمناها.

كنت أهزها أحاول إيقاظها؛ لعل الروح تتشبث بها وأنا أردد:

- هناء هل تسمعينني؟ أجيبيني بالله عليكِ، لا أريد فَقّد عزيز آخر، أرجوكِ أفيقي ولا تحطمي قلبي.

لم تكن هناك أية استجابة الدموع بدأت تتسابق على خدي لا أريد تصديق حدسي، فكل ما أراه يقول إنني أتحدث مع جثة ... بكل تأكيد هناء ميتة بين يدي، صرخت بأعلى صوتي من هول الفاجعة:

- مَن قال لكم إن لديَّ قوة كبيرة لأتحمل هذا الفقد كله؟ مَن قال لكم إن عقلي لديه القدرة على استيعاب كمية المصائب التي توالت على رأسي؟ لعنة الله على هذا المنزل الذي سلبني أحبابي كلهم.

دخلت بنوبة بكاء وعويل، شعرت أن روحي أصبحت مثقلة بالدموع والحسرات، سمعت بعدها المخلوقة المتشحة بالسواد خلفي وهي تقول:

- بعد هذا كله سترتاحين هناك مَن قدَّم روح أختكِ لنا، وسمح لنا بالدخول لهالتها التي كانت سهلة، ماجد سرّع الأمور وظن أنه سينقذ لولوة، لكنه لم يكن يعرف أنه كان مجرد أداة، الأقربون دائمًا ما يقتلون أرواحكم لأنهم لا يريدون أن

تصبحوا أفضل منهم، سر سقم هناء ستجدينه في بيتك.

اختفت بعدها تلك الملعونة وغابت معها الجلبة كلها التي جرت منذ قليل، كنت أغوص بحزني إلى عنقي هنا سمعت صيحة قوية، إنه صوت طلال قادمًا من غرفة قريبة، في البداية لم أكن أنهم ما يقول، أنزلت رأس هناء وضعتها على الأرض بعد أن قبلت جبينها الندى كفكفت دموعي وترحمت على شقيقتي هذه المرة أريد معرفة ما قصة طلال، ولماذا هرب من الغرفة؟ وما سبب هذه الصرخة الغريبة؟

توجهت ناحية الحجرة التى لاحت منها الصيحات، وكلما اقتربت منها كنت أسمع عويله يتضح شيئًا فشيء، فتحت الباب الذي كان مواربًا بهدوء، لأجده جالسًا على الأرض ويحمل بين يديه جسد امرأة، ويصرخ باكيًا ويردد تلك الكلمات:

- فعلتُ المستحيل لكي أنقذك من سقم، لكنني لم أجد السبيل، لقد غدروا بي وأخلفوا الوعود، أنا السبب لكل ما جرى لكِ، لن أسامح نفسي ما حييت.

ما الذي يحصل بهذه الليلة الملعونة؟ مَن هذه المرأة التي يحمل طلال جثمانها بين يديه ودموعه تتسابق عليها؟ قلت له مستفسرة:

- مَن هذه المرأة التي بين يديك، وما علاقتكم بهناء؟

التفت لي وبانت لي ملامح وجهه التي أغرقتها الدموع، وقال:

- روحيهما قدِّمت قرابين كي يعود لهم سليل، سامحيني يا سلمى، لم يكن أمامي أية حيلة، كنت أعلم أن أختك لن تعود كما كانت، وطلبوا منى أن أقدمها لهم قربانًا من أجل أن يموت حب سليل لها، لقد كذبوا عليَّ وقتلوا روح من أحب.

لم أستوعب تلك الجملة الأخيرة، روح مَن أحب! قلت له:

- ماذا تقصد بروح مَن تحب؟

صدره ردَّ عليَّ وهو لم يبرح النحيب واضعًا رأس تلك المرأة على صدره:

- القصة طويلة يا سلمى، أنا صاحب المنزل الأخير، وهذه المسجاة أمامك زوجتي وحب عمري.

شعرت أن هناك سكاكين تُغرز بقلبي، هل كنت طوال الوقت مخدوعة منه، قام باستدراجي وقدَّم أختي لهؤلاء الشياطين لكي ينقذ حبيبته؟ كم كنت غبية لأصدق بأن من الممكن أن يحبني شخص كهذا أو يلتفت لي حتى دائمًا الحقائق مؤلمة ليتنا بقينا مغفلين.

قلبي يؤلمني بشدة كأن نيزكًا ضخمًا سقط عليه كي يعتصره، لقد خذلني عديم الأخلاق هذا الذي يبكي أمامي الآن، لقد استغل سذاجتي ولم يكن أمامي أية حيلة، تمنيت لو كنت أنا الجثة بدلًا عن هناء، لا أريد الحياة في عالم انعدمت إنسانيته واتخذ من الغدر منهجًا، الجميع يكذب ويخذل ولا أحد يبالي بالقلوب، المهم أن يصل لما يريد بغض النظر عن الأثر الذي سيتركونه بنفوس الآخرين، إنهم يقطعون قلوبنا من أجل مصالحهم، غير مدركين حقيقة آلمنا، لم تكن هناك أية ردة فعل لي، دائمًا أبواب الحب تغلق في وجهي، أحلام وقصور الحب التي بنيتها من تراب سقطت مع أول موجة قابلتها من بحر الخديعة، كل شيء ينهار أمامي، كل شيء يبكي حولي حتى حيطان هذا المنزل.

تقدم طلال إليَّ بخطوات بطيئة وقلب ممزق، نظرت له وقلت:

- لم أكن أتوقع أنك ستكون منهم يا طلال.

أجابني قائلًا:

- أعلم أن تبريراتي لن أجني من ورائها أية فائدة، القصة أكبر مما تتصورين؛ كلنا ضحايا الأخطاء، على فكرة اسمي ماجد، وليس كما أخبرتكِ سابقًا (طلال).

23

كان ممثلاً بارعًا، أتقن دوره على أكمل وجه، لم أشك به ولا للحظة، كنت أتوسم به الحب المفقود، لكنه كسرني وخيب آمالي، فقدت ثقتي بنفسي مجددًا بعد أن سلحني بها يومًا، قلبي تخدّر من الصدمات، ويقول إن اسمه ماجد وطوال الوقت كنت أظنه طلال أية متاهة أكاذيب أدور بها! لم تكن لي أية ردة فعل أو كلمة خرجت مني، كنتُ صامتة أنظر له ببلاهة ابتلع حديثه الذي كان كالسكاكين.

أردف كلامه وقال:

هذه لولوة زوجتي وحبيبتي وصديقتي، كانت لي الدنيا بأسرها، باختصار تزوجنا بعد قصة حب ومعاناة، ولم أستطع أن أفوز بها إلا بعد جهد وألم وصراعات بسبب رغبة أمي بزواجي من إحدى قريباتها؛ فهي من المؤمنين بزواج الأقارب، وكانت معارضة لفكرة ارتباطي بامرأة من خارج العائلة، وبعد محاولات عديدة ورفض كبير استطعت إقناعها بالارتباط بلولوة التي كانت من أسرة شبه فقيرة، بعد الزواج حصلت العديد من المشاكل بين زوجتي ووالدتي، فقررت أن أسكن معها بعيدًا عن أمي؛ لكي ارتاح من هذا كله، وكنت على عجلة من أمري فالوقت بالنسبة

لي مهم جدًّا ؛ حتى لا تتفاقم المشاكل بينهن وعرض عليَّ هذا المنزل الكبير، الذي كان مميزًا وبسعر مناسب، رغم ان البعض حذرني من ماضيه لكنني لم أكترث كثيرًا، كل ما فكرت به وقتها الابتعاد عن منزل أسرتي، وكان لي صديق يُدعى حامد هو الذي شجعني على الإقامة هنا، وقال لي إن لديه القدرة على تنظيف البيت من أية أرواح شريرة أو لعنات قديمة، كونه يمتلك خبرات سابقة بمثل هذه الأمور.

كنت أستمع له من دون أية مشاعر أو تفاعل، فقصص هذه الدار لا تنتهي وغرائبها لم تكن جديدة بالنسبة لي، ناهيك عن صدمتي بموت هناء وحقيقته.

أكمل طلال أو ماجد لم يعد يهمني مَن هو، اختار ما يحلو لك، قصته التي يحاول من خلالها تخفيف وطأة خيبتي ناحيته وقال:

- استقريت بشكل سريع ومن دون أي ترتيب سابق وبسبب حجم المنزل الكبير قررنا أن نسكن بجزء منه وبقيت العديد من الغرف شبه فارغة، على أمل تأثيثها في المستقبل، كان صديقي حامد يزورني ما بين الحين والآخر، وبالوقت نفسه لم تكن هناك أية ظواهر غريبة

تحدث لنا، رغم مكوثي هنا مدة ثلاثة شهور، إلى أن قال لي حامد تلك الليلة:

- أريد أن أبيت عندك الليلة بإحدى الحُجَر، كي أتأكد من خلو منزلك من الأرواح أو الجن.

عقدت حاجبيَ من الغرابة وقلت له:

- لا يحتاج المنزل كل ما تفعله، وأعتقد أن كل ما قيل عنه كان مجرد شائعات لا أكثر ولا أقل.

أجابني حامد وقال:

- هل سمعت عن الهدوء الشيطاني من قبل، إنهم فقط يريدون أن يشعرونكم بالاطمئنان بعدها سينقضون عليكم واحدًا تلو الآخر، دعني فقط أقوم بعملي، فأنا لديَّ خبرة كبيرة بمثل هذه الظواهر، وأعرف كيفية التعامل مع هذه المخلوقات، كل ما أريده فقط حمايتك، لتعيش باقي حياتك هنا من دون أية منقصات.

أصابني الخوف بعد جملته تلك، وقلت له:

- لا أريد أن تشعر زوجتي بأي شيء مما تقول، كل ما أتمنى أن تنهي عملك بهدوء.

هز رأسه بالموافقة، وطلب مني شيئًا غريبًا:

- أحتاج أن أبيت في هذه الدار وحيدًا، لا أريد وجودكم به كي يسهل عملي.

لم يكن طلبه صعبًا عليَّ، فكنت مقررًا السفر إلى البحرين مع زوجتي لقضاء إجازة قصيرة لمدة ثلاثة أيام، أبلغته أن يفعل كل ما يراه مناسبًا للحماية، وعنده الوقت الكافي ليفعل بهم ما يشاء.

لا أعلم لماذا وافقته على كلامه الساذج هذا، وأفسحت له المجال، رغم علمي أن لديه العديد من الأفعال المرتبطة بالسحر وغيرها، ربما المسوق الوحيد لموافقتي كان خوفي من المجهول وشهرة هذا المنزل المريب بالجن.

سافرت تلك الليلة مع زوجتي إلى البحرين للاستجمام والراحة، وأبقيت مفاتيح مسكني مع هذا المجنون، طوال رحلتي تلك نسيته ونسيت ما يريد فعله، لأن كل شيء سيبدأ بعد رجوعي ولم أتذكره إلا وأنا بطريق العودة، وما أن وصلت كنت على اعتقاد أنه قد أنهى أعماله كلها، لكن المصيبة لم أجده، وكل ما رأيته حاجياته بتلك الغرفة التي كانت عبارة عن كتاب قديم ومبخرة وبعض من الطلاسم المرسومة على الأرض، أوارق مكتوب بها كلمات بلغة غير مفهومة، وكان على الحائط رسم على شكل بوابة

كبيرة، جَمعتُ تلك الأغراض كلها وركنتها بإحدى الزوايا غير مدرك لخطورة ما فعلته لحظتها، وقمت بالاتصال عليه كي أفهم ما الذي قام به ولأية نتيجة وصل، لكن لم أستطع الوصول إليه، بحثت عنه بكل مكان من الممكن أن يوجد به لكنه قد اختفى، سألت عنه أهله وأصدقاءه ولم أصل لنتيجة ولا أعلم أين اختفى، كما تعلمين أن الأمر في مثل هذه الظروف يحتم علينا إبلاغ السلطات عن اختفائه، وبالفعل قامت أسرته بإبلاغ الشرطة التي بدورها استجوبتني، وأخبرتهم ببعض الحقائق ولم أخبرهم بفترة مكوثه بمنزلي لمدة ثلاث ليالي.

مرَّ شهر على اختفاء حامد، وبدأت أنساه تدريجيًّا، وفي يوم دخلت زوجتي لولوة إلى الغرفة التي مكث بها حامد، ونظرت لمحتوياتها، وكان من بين الأغراض البخور والمبخرة والكتاب والأوراق، وكل ما لفت انتباهها المبخرة التي كان شكلها مميزًا؛ فقامت كما يفعل أغلب النساء بتجربة البخور لكنها صدمت من بشاعة رائحته، وأذكر أنها قالت لي لمن هذا البخور؟ صعقت لحظتها وقلت:

- لربما أنه للسكان الذين سبقونا هنا.

قالت لولوة وهي تحاول أن تتمالك نفسها بسبب انزعاجها من الرائحة:

- عليك إلقاء هذه الحاجيات بأقرب سلة قمامة، أشعر بالغثيان والصداع.

طلبت منها الخروج من الحجرة المسمومة بتلك الروائح الكريهة، وقتها كنت قد أحضرت معي هدية لها، وكانت عبارة كاميرا تصوير فورية تخرج لك الصور سريعًا، وكما تعلمين أن الصور كانت تحتاج لبضع أيام تصل لأسبوع كامل للتحميض، على عكس ما تتميز به هذه الكاميرا من سرعة، كانت فرحة جدًّا وطلبت منها الوقوف كي أجربها على وجهها الجميل، وقفت بزاوية الغرفة وبعدها قمت بتصويرها، لتخرج الصورة من الكاميرا، وكانت تحتاج لعشر دقائق فقط حتى تتضح معالمها، كنت أنتظر بلهفة نتائج التجربة الأولى، وكانت المفاجأة التي جعلتني أتجمد رعبًا بعد خروجها، في البداية لم تصدق عيني ما رأته لأكتشف بعدها شيئًا مرعبًا شلَّ تفكيري، دققت النظر كثيرًا محاولًا استيعاب ما أرى، ارتجفت يداي وتغيرت ملامح وجهي، ما أشاهده حقيقي هناك أفعى تلتف على رقبتها، المصيبة أن رأسها على شكل رأس إنسان ذي قرنين صغيرين وجسمها بالكامل أفعى.

قطعت لولوة لحظة صدمتي تلك وهي تقف بعيدًا وقالت:

- هل نجحت محاولتك الأولى؟

نظرت لها بارتباك وقلت:

- لا أعتقد... يبدو أنني لم أكن ماهرًا في استخراج الصورة لنجرب مرة أخرى.

24

لم تغب عن بالي تلك الصورة التي خرجت لنا من الكاميرا، أصبحت هاجسي الذي أفكر به يوميًّا، وما سبب ظهورها على هذه الشاكلة، كيف ظهرت الأفعى من العدم؟ ولماذا تلتف حول زوجتي؟ ترسخت في عقلي فكرة أن المنزل مسكون بالكائنات المخيفة، والسؤال الأهم أين اختفى حامد؟ أريد إجابات صريحة تريح قلبي المرتاب والمتحفز لما هو قادم.

بعد أسبوع من حادثة الصورة، أبلغتني زوجتي بأمر غريب اختفاء جميع صور ألبوم زفافنا، في البداية ظننتها أخطأت في ألبوم الصور، وعندما فتحت جميع الألبومات لم أرَ به أية صورة سألتها هل من المحتمل أنها أخرجتهم وأخفتهم بمكان آخر ونسيت موضوعهم؟ المصيبة أن كل الصور الخاصة بها وبي ومنها الصور الشخصية كانت مختفية، لم يكن الأمر مفهومًا، ومن المستحيل أن تختفي أكثر من ثلاثين صورة دفعة واحدة، وبعد تحقيق وأسئلة وصلت لنتيجة، أن هناك شخصًا قام بسرقتها كلها، وأين؟ ولماذا؟ هذا الذي لم أجد أية إجابة حقيقية عليه، لم أعر أي اهتمام لذلك كله في البداية.

لم أكن أتصور أنني أتعامل مع مخلوقات مرعبة، متوقعًا أن كل ما أراه هنا مجرد صدف طبيعية، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي صرخت به زوجتي بأعلى صوتها قفزت من مكاني كالملسوع وانطلقت باتجاهها، وعندما وصلت رأيتها تضع يدها على وجهها وهي متكورة بزاوية الغرفة وعلامات الذعر تتساقط منها، وقلت بانشداه:

- ما بك؟ لماذا تصرخين بهذه الطريقة؟

رفعت يديها من على وجهها ومدت سبابتها في الاتجاه الآخر لأصعق بما رأيت كانت هناك خرقة بيضاء منتفخة، الوهلة الأولى تؤكد لك أن ما وقعت عليه عيناي ما هو إلا جثمان بسبب التفاصيل الواضحة لجسد إنسان مخفي تحتها، ابتلعت ريقي وحاولت التماسك بعد دقيقة من الذهول المخيف، اقتربت من الجثمان الممدد على الأرض بخطوات وبالفعل صدقت توقعاتي، ولكن من أين أنت؟ ومَن وضعها هنا؟ هذا كل ما أريد معرفته، قلت بتوتر:

- من وضع هذه الجثة هنا؟

أجابتني بعد محاولة لململة شتات روحها المبعثرة:

- لا أدري كيف وصل هذا الشيء إلى هنا.

إجابتها غير مقنعة سألتها مرة أخرى وقلت:

- ما الذي أتى بكِ لهذه الغرفة بالتحديد؟

التفت وقالت بعينين مذعورتين:

- بينما كنت ما بين الصحوة الغفوة، همس بأذني صوت طالبًا مني التوجه لهذا المكان، وبعدها استيقظت لواقعي، وكنت أتساءل هل ما سمعته حقيقيًا أم وهمًا؟ وبعد صراع ذهني قلت لنفسي، وما المشكلة لو ذهبت إلى الغرفة؟ بعد تلك الهمسات التي جاءتني بعقلي لكي أتيقن بأنني لم أكن أحلم، وعندما وصلت وفتحت الباب وجدت ذلك الجثمان الغريب، لأتأكد أن ذلك الهمس كله حقيقي وليس حلمًا يأتيك في بداية الغفوة.

لم يدر في بالي بتلك اللحظة إلا شيء واحد، التأكد من جثة الشخص المكفن هنا، وبعد تردد وخوف ومشاعر مضطربة حسمت أمري وبدأت بفتحه بيدين مرتجفتين وقلب متزلزل من الهلع، كشفت عن الوجه الذي تبينت ملامحه، لأسقط على الأرض متراجعًا، إنها جثة صديقي حامد، المخيف أن مكان عينيه كان عبارة عن تجويف فارغ لا وجود لأي من

منهما، انتابتني حالة من اللوعة وبعض الغثيان كدت وقتها أن أستفرغ ما في بطني كله.

قطعت زوجتي حالة الذعر التي مررت بها وقالت:

- علينا الاتصال بالشرطة؛ كي نعرف مَن أحضر هذه الجنة إلى هنا.

وقتها عقلي تجمد عن التفكير، والسؤال نفسه الذي سألته لولوة طرأ بعقلي كنت فقط أنظر للجثة التي كانت شبه محنطة وصاحبه سؤال آخر من غير المعقول أن يكون حامد ميتًا طوال هذه الفترة، وجثته التي أمامي تؤكد أنه قد مات قبل ساعات قليلة، كيف له أن يظل مختفيًا بغرفة شبه خاوية، من المستحيل أن يختبئ بها أحد، الذي أعرفه أن الجثث تتعفن بسرعة.

لأسمع بعد هذا كله ارتطام أحدهم على الأرض خلفي، لأرى زوجتي هي الأخرى رابضة على الأرضية بلا حراك، كنت بحالة نفسية متعبة، انطلقت إليها وضعت رأسها على فخذي حاولت أن أفوقها من إغماءاتها، قلبي لا يحتمل تلك الأشياء المرعبة كلها، عليَّ أن أجد الإجابات على هذه الأسئلة كلها، وبينما أنا على هذا الحال سمعت صريرًا لألتفت ناحية باب الغرفة معتقدًا أنه صادر منه لأجده ثابتًا لا يتحرك،

والصوت لا يزال مستمرًا، تنبهت حواس سمعي أن الصرير قادم من الحائط الذي رسم عليه بوابة في السابق، لأسمع حفيف خطوات شخص وهي تتقدم، تجمدت بعد هذا كله لأرى الكفن الأبيض يُنزع من على حامد من تلقاء نفسه ويرتفع عاليًا، لتخرج منه سحابة سوداء شبيهة بالدخان من فمه وهي تسبح في فضاء الحجرة وتتجه ناحيتنا، وبالتحديد رأس زوجتي، ومن شدة خوفي دفعتها بعيدًا عني، وبدأت بالتراجع للوراء ليوقفني الحائط من خلفي، بينما الدخان الأسود يتجمع كله بالأعلى ويتشكل على جسد شخص ثم يندفع بلمح البصر ويدخل بفم زوجتي وسط ذهولي بهذه الأثناء كنت أتمنى الصراخ والاستنجاد بأي شخص قريب مني، أحبالي الصوتية لم تسعفني وقتها كأنها تقطعت.

المشهد العام جسدين ممددين أمامي الآن والهدوء المتعب يحيط بي، انتصبت واقفًا أراقب المشهد بوجل وترقب، وما لفت انتباهي بعد هذا كله، ورقة كانت يد حامد ممسكة بها، اقتربت وأنا التفت حولي نفسي خوفًا من خروج شيء جديد يمكنه القضاء على آخر نبضة بقلبي، لا أدري لماذا المسافة التي كانت بيني وبين جثة صديقي أصبحت بعيدة رغم

قربها، مددت يدي لتلك الورقة سحبتها وأطرافي ترتعش.

كانت ورقة صفراء اللون، ومكتوب عليها بوضوح وخط أشبه بخربشات طفل:

- «البوابة فتحت على مصراعيها، تتغذى بأرواح مَن يقتربون منها، بدايتها الألم وسطها السقم وآخرها العدم، لن تنعم بالراحة بعد الآن، أتممت الطقوس ولن ترتاح النفوس كل روح مقابلها روح أخرى، لا تعبث معنا».

فزعت بعد إتمامي القراءة، وشعرت بضيقة شديدة اجتاحت جسمي، اقتربت نحو جسد زوجتي حملتها وانطلقت بها إلى حجرتنا، وتفكيري كله مشلولًا تائهًا، لا أدري ما عليَّ القيام به، هل اتصل بالشرطة كي تقوم بعملها، كنت مترددًا بينما أنفاس زوجتي البسيطة التي تخرج منها تؤكد لي أن رمق الحياة لا يزال يتمسك بها.

كيف لي التعامل مع جثة حامد هل أدفنها بفناء هذا البيت الملعون، لا لن أقوم بذلك، عليَّ الاتصال بالشرطة ليقوموا بعملهم وتحرياتهم، وسأقول لهم الحقيقة كلها.

رجعت مرة أخرى للحجرة المخيفة، أريد لملمة شتات نفسي وكنت عازمًا على الاتصال بالأمن، وبالوقت نفسه قررت عدم العيش هنا؛ لأنني غير قادر على تحمل أية صدمة أخرى، وعندما وصلت اكتشفت شيئًا أرجعني لحالتي قبل ساعة، لم يكن هناك أي أثر لجثة حامد، لقد اختفت كأنها لم تكن، دورت بعيني باحثًا عنها بالأرجاء كلها، لم أجد شيئًا، وسعت دائرة بحثي في المنزل كله ولم يكن لها أي أثر، أي جنون وغرابة أعيشهم، ومن غير المعقول أن يكون كل ما رأيته مجرد وهم.

طردت فكرة الاتصال بالشرطة، وما أفكر كله به الانطلاق بزوجتي لأقرب مستشفى، وعقلي متشبع بمشاهد الخوف كلها.

25

أقف ببرود أمامه وأنا أستمع لكلماته، هل ما يقوله ماجد حقيقي؟ أم أنها قصة جديدة يخترعها لكي يبرر موقفه المعيب، لا أدري كنت مشتتة أنصت فقط ولا أنكر أنني كنت مصدومة كون قصته غريبة، وبالوقت نفسه كان سؤالًا واحدًا يتردد بداخلي، هل كنت أنا السبب بكل ما يحصل لي؟ اندفاع مشاعري هو ما أوصلني لهذا الحد وأركسني بحفرة الخيبة، كنت كالمخدرة من كثرت الضرب، أتقبل أية صفعة أخرى ولا أشعر بالألم، نظر لي بعينين حمراوين ووجه ذابل من الحزن وقال:

- أعلم أن ما أقوله لكِ غير مناسب بالتحديد بهذا الوقت، أتمنى أن تعذريني على فعلتي تلك، كنت أريد إنقاذها كي تعود إلى قلبي المنكسر، إذا كنت تريدين مني التوقف سأفعل ذلك وأرحل حالًا.

أجبته بغضب واضح وقلت:

- أكمل، لم يتبقَ لنا سوى سماع القصص لعلها تداوي جروح ليس لنا بها أي ذنب.

اعتدل وهو يمسح على شعر زوجته التي كانت بحضنه ناظرًا إلى الأعلى، وقال:

- كنت أعتقد أن الأمور لهذا الحد وستنتهي، ولم أعلم أنها البداية فقط، لتستهل علينا من يومها رحلة التعب والشقاء، بسبب ذبول لولوة، التي بدأت تظهر عليها أعراض اعتلال مختلفة، الضعف العام والوهن الصراخ غير المبرر، الصرع والدخول في إغماءات طويلة، في كل مرة أذهب بها للمستشفى كنت أصل لنتيجة واحدة، لا يوجد أية أمراض عضوية، فحوصات زوجتي كلها سليمة وأنها آثار صدمة نفسية، ونعود مجددًا لدوامة المرض المستمرة.

كنت وقتها أعيش مع والدتي التي لا تحب زوجتي كونها لم تكن من اختيارها موقف أمي هذه المرة كان مختلفًا وبطوليًّا، كانت تساعدني وتآزرني وتبحث لي عن حلول، وفي أحد الأيام صحوت من نومي ولم أجد لولوة بالمنزل كانت مختفية ومتوارية عن الأنظار.

قاطعته وقلت:

- وجدتها بهذا البيت الملعون؟

رد عليَّ بأسى:

- نعم... مثلما تفضلتِ، وجدتها مختبأة هنا، النقطة الأهم

أنني أبلغت عنها الشرطة، كوني بحثت عنها لمدة يومين، وفجأة فطنت لهذا الحل بأنها قد عادت لهذه الدار، وبعد يأسي قلت ما الضير في البحث بها، لأتفاجأ بوجودها بهذا المكان، متجردة من ملابسها كلها تجلس ببلاهة بزاوية الحجرة، الذي أتذكره جيدًا ولا أنساه وقت إخراجها كنت أسمع أصوات الأبواب التي تفتح وتغلق من تلقاء نفسها، ووقع خطوات كثيرة تتحرك بهذا المنزل الغريب، كأنها غاضبة وغير راضية على ما أقوم به، وقبل مغادرتي اكتشفت أن إحدى صور زفافنا كانت ملقاة عند باب الخروج، وعند تدقيقي بها وجدتها الصورة الاصلية، ومن المفترض أنها تمثل جلوسي بجانبها ليلة الزفاف وهي بلباسها الأبيض، وأنا بأناقة العرسان، أما ما رأيته كان مختلفًا وليس كما ستظنين، هناك جسد آخر غير أدمي متمثل بهيئة شخص ضخم البنية وبرأس له قرنين، كأن أحدهم مسح صورتي متعمدًا وبدلها بهذا المخلوق، قذفت الصورة من يدي من هول ما رأيت، وانطلقت مسرعًا نحو سيارتي هاربًا من تلك الألغاز الغريبة، لا أريد الالتفات للوراء.

كنت ابتلع الصدمات مجبرًا، كالذي يتجرع دواءً لا يستسيغه ولولوة تذبل يومًا بعد يوم، وكما تعرفين

تصرفاتها كانت تثير العديد من علامات الاستفهام، نظراتها للحائط والحديث مع اشخاص غير موجودين، وذكرها لحكايات غير منطقية.

أمي لم تقف مكتوفة الأيدي، بل كانت منعطفًا مهمًا في قصتي عندما جاءتني وقالت لي علينا الاستعانة بالشيوخ الروحانيين الذين علَّ وعسى أن يكون لديهم الحل، وبالفعل استطعنا التواصل مع أحدهم والذي كان يدعى: (العضب).

بعد نطقه لهذا الاسم تغيرت ملامح وجهي للمرة الأولى ثم التفت باتجاهه، وقلت:

- أنت تقصد الشيخ نفسه الذي زرناه ووجدناه مقتولًا؟

هز رأسه بالموافقة وقال:

- بالفعل كما قلتِ، وهو نفسه الذي زاره والدكِ ومات بعدها.

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- أية قصة متشابكة الخيوط تلك التي أعيشها يبدو أن نهايتها ستكون سلب روحي الضائعة

عم الصمت لفترة، لكن ماجد أكمل حديثه غير مكترث لردود أفعالي:

- ذهبنا لمنزل ذلك الشخص، وبرفقتي زوجتي لولوة ووالدتي، والمصيبة إنه وبمجرد أن وقعت عيني الشيخ على وجهها صرخ قائلًا:

- اخرجوها سريعًا، لا أريد مقابلة تلك الوجوه التي يعلو جبينها الموت.

كنت مذهولًا غير مدرك ما يفعله هذا الشيخ غريب الأطوار، بينما قام نفرًا ممن يعملون معه بإخراج زوجتي وأمي من المكان، فيما العضب كان يردد بعض الكلمات الغريبة، قطعت عمله وقلت:

- ما الذي رأيته بوجه زوجتي؟ ماذا تقصد بكلمة الموت؟

كان وجهه عابسًا خُيّل لي أنه رأى شيطانًا، ثم قال:

- كم أنتم جهلة، تعبثون مع مخلوقات لا ترحم، وفتحتم أبواب السقم، اكتملت الدائرة بجسد زوجتك التي سهلت المنافذ، لن يتركوها كما تظن، ولا دواء لداء السقم، لا أريد إقحام نفسي بمعارك خاسرة، إنهم أقوى مما تظنون.

لاحت البلاهة على وجهي لم أفهم ماذا يردد غريب الأطوار هذا وقلت:

- تعني ألا أمل بحالتها؟

لم يجب على سؤالي، كأنه يؤكد ما أقوله بصمته المزعج، أكملت حديثي:

- مستعد بأن أفعل أي ما تطلبه مني، سأعطيك كل ما أملك، بالمقابل أن ترجع زوجتي لما كانت عليه، أرجوك ساعدني لا تقطع حبال الأمل التي عقدتها عند باب دارك بكل هذه السهولة.

هبطت على قدميه متوسلًا وراجيًا، وبدموع منسكبة أشحذ منه المساعدة، كنت أنتحب بحرقة خوفًا على خسارة من أحب.

ابتعد عني وقال:

- حامد أكمل العقدة وفتح الباب، إنهم يتدفقون ويملأون منزلك، ذلك الغبي عبث معهم، وبحماقته جعلهم يقتحمون، روح زوجك هي من اشتمت روائحهم، وسليل اختطف الجسد، لا تزال روح حامد تحوم في بيتك، يتصبرون بها وصبرهم لن يطول.

كنت أنظر له بعينين باكيتين ودموع رطبة أشعر ببرودتها على وجنتي، أردف حديثه:

- يعقدون الآن عقدتهم على روح زوجتك، اختفاء الصور ليس له تفسير إلا لشيء واحد، يريدون

أن يتوغلوا بروحها، ويقتربون منها، هناك من يتربص بها ولا يريد أن تكتمل العقدة، فهم مثلنا يغارون ويعشقون ويقاتلون من أجل أحبابهم.

قلت بصوت باكي:

- ما الحل بالله عليك؟

أجابني وقال:

- أمامك يوم أو يومان ولربما شهر أو شهرين ولعلها تطول لسنة أو سنتين، هذه هي المهلة، روح بروح، وتلك النفس لا تأتي إلا إذا عبث أحمق آخر وفتح بوابات جديدة لهم سليل عاشق لا يشق له غبار، وهناك من عالمهم من هم مغرمون به

وضع يده على رأسه وقال بعدها:

- اخرج بسرع ليس لدي قدرة على مواجهة هؤلاء، حلك الوحيد قربان ينقذ روح زوجك، افهم الرسالة جيدًا روح بروح

بعدها تركني ورحل، نهضت أحاول لملمة شتاتي، لأشعر بيد تضع على كتفي، التفت لأرى شخص يعمل مع العضب وقال:

- بهذه الورقة ستجد التفسير على ما قاله شيخنا إياك والعودة مرة أخرى، نفّذ ما هو مطلوب.

عدت لمنزلي أجر أذيال الهزيمة، ولا أدري هل حبيبتي لولوة ستعود كما كانت أم أن روحها ستسلب كالباقين، كانت والدتي هي مَن تطبطب عليَّ، لا أدري لماذا في البداية كنت فاقد للأمل بتلك الورقة التي أخذتها من مساعد العضب، فتحتها لأجد بعض الحلول التي كانت مكتوبة وكانت كالتالي:

- لولوة بنت سعد الضحية الجديدة، السبب حامد بن سلمان.

أمامك يوم أو يومان، شهر أو شهرين، سنة أو سنتين، مَن يحتلون منزلك لديهم من الصبر القليل، ومن الشر الكثير، روح زوجك لن تعود إلا إذا تبدلت بروح جديدة بالمدة الزمنية المذكورة راقب البيت جيدًا وستعرف من القربان الذي سينقذ روح لولوة.

فهمت الرسالة، ومن يومها وأنا أراقب المنزل كل يوم حتى موعد وصول أختك هناء، وبعدها جئتي أنت خلفها، وعلمت أنها ستعود مرة أخرى، أعتذر منكِ يا سلمى على أفعالي كلها، أعلم جيدًا أنني كنت أنانيًّا، إذا كنتِ تعرفين معنى الحب ستعذريني كنت أريد إنقاذها أريد أن أعيد روحي التي باتت سقيمة مثلها.

وبعدها راح يبكي ويردد:

- لقد كذبوا عليَّ الملاعين، دمروا حياتي مثلما سلبوا حياة أختك.

كنت صامتة متجمدة المشاعر، أراقب ما يجري كله، ودموع قلبي هي التي تجري على فقدان هناء، وخيبتي من ماجد الذي كنت أعتقد أنه هو من يلاطف هذا الفؤاد المكسور.

وبعد نصف ساعة، طلب منى ماجد أن أعود لمنزلي مصطحبة أختي وهو يأخذ جثة زوجته، وتجعل أن كل ما حصل قضاءً وقدرًا.

سألته قبل أن أعود:

- برأيك مَن السبب وراء هلاك هناء، مَن الذي جعلها تصل إلى هذا الحال؟

التفت لي بوجه مكسور، وقال:

- ما الفائدة الآن من معرفة الحقيقة؟

لم تعجبني أجابته، وقلت:

- عليَّ معرفة السبب لأقتص لها ممن فتح عليها بوابات الجحيم، لا أريد أفاعي مخفية بحياتي.

قال لي وهو يصعد سيارته

- على يقين أن والدك عرف السبب، ومن الممكن مات بسببه، ابحثي حولك جيدًا.

26

هل عشتم ما أعيشه من أحاسيس مشوشة وحانقة على حد سواء، أخوض الآن تجربة ما بعد الصدمة كما قرأت عنها لاحقًا، أتذكر هذا الموقف جيدًا وأردد داخلي لماذا لم أبكِ؟ رغم يقيني بأن أختي جثة هامدة أنقلها معي الآن بسيارتي متوجهة بها إلى البيت، كنت جامدة كخشبة مرمية بصحراء خاوية، المشاعر داخلي كأنها تقف خلف سد يكاد أن ينهار عليَّ بأية لحظة تتدفق مياهه وتجرف كل شيء أمامها.

ما أتذكره كله؛ أنني نقلتها بصعوبة رغم جسدها النحيل إلى غرفتها، لم تذق عيني وقتها طعم النوم، كنت أدرك بأن عواطفي حينها كانت مختلطة، ما بين الصدمة والخوف والخيبة والانكسار، واختتمتها بالحزن الذي لم يستفيق إلا بعدما أبلغت والدتي بخبر وفاة هناء، لتصيح صياحًا مريرًا، وتلطم على خديها لقد ثكلت ابنتها، بهذه اللحظة بدأ يذوب ذلك الجليد من أعلى قلبي، وبكيت مع والدتي على وفاتها، لحظتها استوعبت بأن الفقد جرحه قاتل صامت يقضي عليك تدريجيًّا إذا لم تعرف أن تتعامل معه، والدتي هشمت فؤادي رغم انكساره وهي تردد:

- القلب لا يتحمل هذه الصدمات كلها، لا تعلمون أن قلوبنا ما هي إلا قطعة من زجاج، مع كثرة الضربات تتحطم.

فقدنا خلال أسبوعين شخصين عزيزينِ ومهمينِ بعائلتنا، لم أكن أتوقع أنني أحمل داخلي هذا الثبات كله، ولم أتوقع أن أمي هشة لهذه الدرجة، بعد أسبوع من انتهاء عزاء هناء، بدأت والدتي هي الأخرى تمر بالوضع نفسه الذي مرت به شقيقتي المتوفاة، باتت أغلب وقتها صامتة، حبيسة غرفتها، قليلة الأكل، شاردة الذهن، كنت أردد بداخلي وأقول:

- لا أريد فقدانكِ يا أمي، يكفي ما خسرتُ.

وبعد محاولات عديدة كنت أريد أن أعيد والدتي لوضعها الطبيعي، وعلينا الرضا بما جرى لم تفلح الطرق كلها معها، خفت أن تكون تلك الروح الشريرة قد استحوذت عليها كما جرى لهناء العلامات نفسها والخوف هو من يتربص بي، فكرت بمهاتفة ماجد الذي كنت أعرفه باسم طلال، لعلي أجد لديه حلول، لكني طردت هذه الفكرة من رأسي فورًا، وأقنعت نفسي بنسيانه، والتفكير بحالي وبمستقبلي جيدًا، من المستحيل إعادة هذا الشخص لوضعه الطبيعي كونه قد خسر أكثر إنسان يحبه، وبينما كنت أفكر رأيت

والدتي وهي تخرج مسرعة من منزلنا مرتدية عباءتها بطريقة غير منظمة، لم أدرك ما يحدث، ابتلعت صدمة الموقف، وبعد ثواني نهضت وانطلقت خلفها، كانت تسير مسرعة ناديتها ولم تجبني كأنها قد انفصلت عن هذا العالم، إلى أن وصلت لمنزل جارتنا نجاة، أعتقد أنكم تعرفونها جيدًا تلك المرأة المتطفلة، التي أكرهها كثيرًا.

فتحت والدتي الباب من دون أن تطرقه، وهذه ليست من عادتها، ووقفت وسط صالة دارهم لتصرخ عاليًا بغضب منادية:

- نحاة... أيتها المرأة الحقيرة... أين أنتِ يا سبب فقداني لزوجي وابنتي، كل ضحايا بيتي كانوا من تدبيركِ وتخطيطكِ، أنتِ وراء كل شيء سيء وقع لأسرتي.

عقدتُ حاجبيّ من غرابة الموقف، كلمات والدتي وجرأتها التي حلت عليها، ولماذا تتصرف بهذه الطريقة، أمسكت يدها وقلت لها:

- أمي لماذا تتصرفين على هذا النحو؟ دعينا نعود للمنزل، إنك تتجاوزين الآداب العامة.

نظرت لي بكل غضب، ثم بعدها دفعتني وكررت ما تقول، كان صوتها عاليًا، كنت محرجة وخائفة من تصرفاتها، ليخرج لنا أحد أبناء نجاة وعلامات الاستغراب بادية على وجهه هو الآخر، ثوانٍ لتظهر نجاة خلفه وهى تنظر بصدمة في البداية لم تفهم كلمات والدتي وبعد أن كررتها أدركت تلك الخبيثة بأنها على وشك أن تُفضح، فانطلقت نحو أمي ووضعت يدها على فهما محاولة إسكاتها، وسط دهشتي من تلك التصرفات التي تقومان بها هاتان الاثنتان، لم تعطِ أمي أية فرصة لنجاة، لتشدها من شعرها بشراسة، ثم تدفعها لتسقط على الأرض، لتنقض عليها وتسدد لها الضربات المتتالية على وجهها وجسمها، انتبهت هنا أن أمي كانت تُخبئ سكينة تحت عباءتها، أمسكت بها وأخذتها منها عندما رأيتها وهي تريد تسديد طعنة لها، وأخفيت تلك السكين بين طيات ردائي الكبير، بعد أن سقطت أمي على نجاة، هنا قام ابنها بسحبنا من عليها، كنت وقتها أوضح له أنني غير راضية على تصرفات والدتي التي كانت كقطة غاضبة، وهي تردد:

- لماذا صدقتكِ؟ ملأت رأسي بتلك القصص والترهات لم أكن أتصور أنني ساذجة لهذا الحد، أنا وأنتِ السبب بموت هناء.

حاولت أمي مرة أخرى الهجوم عليها، صرخ ولدها الذي طلب منا الرحيل، مهددًا إيانا في الاتصال بالشرطة، توسلت والدتي طالبة منها العودة لمنزلنا، وهي تحاول عدم الخروج والانقضاض على نجاة مرة أخرى، وما بين شد وجذب خرجنا تاركينها ملقاة بوسط صالة منزلهم وهي مصابة ببعض من الكدمات والدماء الخفيفة التي غطت وجهها، دون أن تنطق بأية كلمة.

كنت وقتها ممسكة بوالدتي أحاول سحبها والعودة بها، كانت تسير وهي تلتفت خلفها وغل العالم كله أراه بعينها، وبدقائق وصلنا لمسكننا، أخذت كوب الماء وأعطيته إياها لكي تطفيء فورة الغضب التي اجتاحتها قبل قليل، أريد فقط ان تهدأ حتى أسألها: لماذا فعلتِ هذا كله؟ لماذا هذا الهجوم كله على صديقتها؟ الفعل الذي قامت به لا يليق بأمي التي أعرفها جيدًا هي مسالمة وليست من تلك الأمهات العنيفات.

التعب نال مني أيضًا، اتنفس بسرعة أريد إعادة روحي لطبيعتها، ومع هذه الانفعالات كنا الاثنتان صامتتان، وبصراحة لم أتجرأ وأنظر بعينيها، لا أنكر أيضًا أنا كنت خائفة من فعلتها، وبعد فترة من عدم الكلام نطقت والدتي أخيرًا وقالت:

- أنا السبب بما جرى كله، أنا الغبية التي صدّقت نجاة، أنا التي قتلت ابنتي هناء، والسبب الرئيسي وراء وفاة أبيكِ.

ثم غاصت بموجة من النحيب، وهي تضرب نفسها، كأنها تريد العقاب، صعقت من كلماتها، أريد الفهم؛ هل هذا نوع من تأنيب الضمير كونها كانت مهملة أو باردة المشاعر طوال الفترة الماضية؟ وبسببه خسرنا والدي وأختي... قلت لها محاولة التخفيف عليها:

- هذا قضاء الله وقدره يا أمي، لماذا تحمّلين نفسكِ فوق طاقتها، لا تلومي نفسكِ، كل ما حدث لهناء ما هو إلا سحر قام بفعله شخص حاقد وحسود كان يريد الأذية لنا.

وما أن انتهيت من جملتي هذه لأصعق برد والدتي التي قالت:

- لم أرد أذية أحد ... أقسم لكِ يا ابنتي، أنا مَن قام بفعل هذا السحر، أنا الحقود الغبية المجرمة التي تجرأت وفعلت هذا كله بسبب غيرتها، لم أكن أتوقع أن تصل الأمور لكل ما آلت إليه، لم أعلم بأنني أؤذيكم.

نظرت لها بعينين اتسعتا من الدهشة، أحاول تفكيك جملتها الصاعقة وقلت:

- ماذا تقولين يا أمي! هل هناك أم تسعى لقتل ابنتها، هذا شيء مستحيل.

نهضت وبعدها صرخت بأعلى صوتها بعينين دامعتين:

- لا تكوني غبية أكثر مني، أنا التي قامت بأفعال هذا السحر كله، بمساعدة تلك الساف .... نجاة التي أغوتني.

- لا تزال الصدمة تعلو وجهي، أحاول تفكيك شفرة ما تقوله ثم قلت:

- كيف ومتى حدث هذا كله؟ لماذا كنتِ صامتة طوال الوقت؟

27

وضعت يدها على وجهها تحاول أن تخفى سذاجتها وهي تأن من شدة ألم الندم، وتردد:

- لا أدري كيف فعلت ذلك؟ لماذا كنت مطيعة لهذه العجوز؟

أبعدت يديها عن وجهها ونظرت لي بعينيها الحمراوين ووجه مملوء بالحسرة وقالت:

- الغيرة ... نعم إنها غيرتنا نحن النساء التي تجعلنا عميانًا لا نرى الأمور بعين العقل والحكمة.

قاطعتها وقلت:

- هل تقصدين أنك كنتِ تغارين من هناء؟

بوجه محمر أجابتني:

- بالضبط هذا ما كنت أقصده، كنت أغار كثيرًا منها، كنت ذات عقل محدود، أو بمعنى أدق لم أكن أستخدمه عاطفتي وأنانيتي هما ما كانا يقوداني.

لم أصدق أية كلمة قالتها، تمنيت ما تقوله مجرد مزحة سمجة قلت لها:

- أتمنى أن جل ما تفوهت به مجرد مزاح ثقيل، كيف لأم أن تغار من ابنتها؟

صرخت بوجهي وقالت:

- أرجوكِ اسمعيني جيدًا، انسي شخصية والدتكِ قبل وفاة هناء لأنها بالأساس لم تكن شخصية متكاملة، صدقي كل كلمة أقولها لكِ الآن، الباقي مجرد أكاذيب وحيل كنا نحيكها أنا ونحاة، كنت أريد شيئًا واحدًا لكني لم أتوقع أن النتائج ستصل لهذا الحد.

نهضت من مكاني بغضب واقتربت من وجه أمي وقلت لها:

- لم أكن أتوقع طوال حياتي أنني كنت أسبح في بحيرة تماسيح، الكل يريد أن ينهش منّا قطعة، كل يوم أتجرع صدمة وخيبة وحقيقة لم ترها عيني، لهذه الدرجة كنتما خبيثتين ولم أشعر بكما.

أجابت على جملتي وقالت:

- لن أجد تبريرًا حقيقيًّا لأفعالي كلها، والدك هو من أوصلني لهذا كله، كان يُفضّل هناء عليَّ ويعاملها بكل حب، كأنني لم أكن زوجته.

قلت بحدة صارخة بوجهها:

- أمي هذه ابنتكِ، وحب والدي لها مُبررًا، كيف وصلتِ لهذا التفكير الغريب.

ردت عليَّ قائلة:

- سلمى... عندما تزوجت والدك لم أكن قد تجاوزت الرابعة عشرة من عمري، كنت صغيرة جدًّا، وعندما أنجبتكِ كنتُ في السادسة عشرة، وأختك هناء جاءت خلفكِ مباشرة بعد ثلاث سنوات، كنتما قريبتين من سِني، الذي أتذكره كله أنني كنت طفلة صغيرة، لم تعطها الحياة فرصة لتمارس ما تريد، عائلتي لديها عادة بأن البنت لا بد أن تتزوج في سن مبكرة، وعندما نضجت الآن شعرتُ بذلك النقص وكنت أريد تعويضه. أبوك لم يزودني بكل الحب الذي كنت أحتاجه منه، كنت خائفة أن يميل قلبه لامرأة أخرى، واكتشفت إنه يفضل هناء علينا جميعًا، ومن الممكن أن أكون أنا بنظره غير كافية له، أو يجد مَن تشبه أختك فيتزوجها.

أجبتها والشرر يتطاير من عينيّ:

- لا أدري كيف أغوتك نجاة، أو كيف صورت لك الأمور، ولا أعلم كيف صدقتيها، أنتِ لا تستحقي أن تكَوني أمًّا.

قالت والدتي بصوت مرتجف:

- لا تقولي هذا يا ابنتي، لم أكن أبتغي من وراء فعلتي الشر، كل الذي كنت أريده ألا يرى والدكِ غيري، وعواطفه كلها تكرس لي، كنتُ أنانية حتى من ناحيتكم، أو بمعنى أدق أغوتني المجنونة ورسمت برأسي قصصًا، جعلتني أتخيل أشياء غير موجودة على أرض الواقع، تذكري أنني امرأة العاطفة هي ما تتحكم بها.

سألتها مستفسرة:

- كيف بدأت تلك القصة، احكِ لما كيف أغوتك تلك العقربة؟

صمت قليلًا ثم واصلت كلامي بابتسامة ساخرة

- بالفعل لم يعد لي سوى الاستماع للحكايات، كم أنا مغفلة.

أخذت أمي المنديل القريب منها وبدأت بتجفيف دموعها وقالت:

- القصة بدأت منذ سنة ونصف تقريبًا، أنتِ تعلمين لم يكن لي أية صديقات سوى جارتنا نجاة، وكنت دائمًا ما أفضفض لها عما يجول بخاطري من هموم وبعض الأمور التي لم أكن راضية عنها بالتحديد ما يقوم به والدك، أهمها تصرفاته معي وإهماله لي كان كثير الكلام عنكن وعن مدى حبه لكن، وبالتحديد هناء التي كانت تفوقنا نحن الاثنتان جمالًا ورقة، إضافة إلى أنها كانت ذكية وتعرف كيف تتعامل مع أبيك وتهتم بشؤونه، وهو بدوره لا يرد لها أي طلب، أعتقد أنك عاصرتي هذه الفترة، وربما التصرفات كلها لا تهمك كونك ابنته وترين ما يفعله والدك طبيعيًّا، أما بالنسبة لي عكس ذلك تمامًا ، كنت أراه تقصيرًا منه وإهمالًا لي، وكل ما يفعله لهناء من المفروض أن يقوم به لي، ورأيته مؤشرًا واضحًا أن هذا الرجل بدأ يتجاهلني ومن الممكن أن يرتبط بامرأة غيري.

قاطعتها وقلت:

- هل هذا مسوغ لكِ كي تفعلي ذلك، حتى هذه اللحظة لم أجد ما هو غريب بالقصة.

ردت قائلة:

- انتظري قليلًا دعيني أكمل كي تتضحَ لكِ الأمور، ربما أنتِ لا تزالين صغيرة ولم تجربي ضغط الحياة عليك، والنضج بداخلك لم يصل لذروته؛ لأنك لم تجربي ما مررت به، كوني تزوجت بسن مبكرة، أتذكر عندما حملت بكِ كنت طفلة روحي لا تزال تريد اللعب مع الفتيات اللاتي بعمري، وعندما شعرت أن الروح قد نفثت بك بداخلي، انتابني شعور مخيف لم أدرك أنني بعد تسعة أشهر سأعيش دور الأم، طوال فترة حملي بكِ كنت خائفة أو تائهة ما بين شغفي باللهو واللعب، والمسؤولية التي وقعت على عاتقي ولم أستسغ طعمها، الرجال لا يفهمون هذه الجزئية بالنساء، بنظرهم أنه لا بد علينا أن نقوم بواجباتنا كاملة بمجرد أن نتزوجهم متجاهلين مشاعرنا أو صغر سننا، ولم أنتبه إلا وأنتم تكبرون معي، وبدأت أفطن لنفسي ولا بد من والدك تعويضي، لكنه ترك كل شيء خلفه ومنهم أنا والتفت إلى هناء... هناء فقط.

لم يكن أمامي أي شخص سوى نجاة التي استغلت حاجتي وطيبتي وجهلي للأمور، ونسجت عليَّ خيوطها وأوهمتني بتصرفاتها أنها ناصحة وتريد لي

الخير، وبدأت تبث سمومها داخلي وتعطيني مواعظها وإرشاداتها التي تجعل أباك يلتفت لي، ولم أجد السبيل له كان غير مكترث بي، وكنت أعتقد أنني قد أصبحت بطيء النسيان، وكل همه منصبًا على ابنته المدللة، والدكِ ترك فراغًا كبيرًا بي، وربما -أيضًا- هي الظروف التي ساعدت على هذا.

كانت هي الأولى بحياته، هي مَن يسأله عنها أولًا بعد عودته من العمل، هي مَن يبتسم عندما يراها أمامه، لها نصيب الأسد بجميع ما يجلبه للمنزل مستعد أن يفعل أي شيء في سبيل إرضائها، أعتقد أنكِ كنت تعيشين تلك الفترة، وترين بأم عينيكِ كيف كان يتصرف معها، لا أدري كيف لكِ لم تحسديها على هذا ؟

قلت هنا:

- نعم كنت ألاحظه، لكني لم أهتم به كثيرًا، ولا أعتقد أنه كان يضع كل هذا الاهتمام بها، وبالوقت نفسه كنت أحظى بحبه، لم يهملني كما كنت ترين.

لم تجب كلامي وأكملت:

- بإحدى الليالى جلست مع نجاة كنت وقتها أتذمر من

أفعاله حتى سألتها وقلت:

- برأيك يا نجاة هل كبرت وبدأت غير مرغوبة؟

ابتسمت بوجهي وقالت:

- يا مجنونة إنك لم تتجاوزي الأربعين من عمرك، أنت الآن مثل التفاحة الناضجة زاهية الألوان طيبة الطعم.

تنهدت بحسرة وقلت:

- إذا كنت كما تقولين حقًّا، لماذا لا يلتفت لى زوجي؟ أصبحت لا أشعر بوجوده حتى لو كان قريبًا مني، وعندما أطلب منه هذا الأمر أو مبادلتي بالاهتمام يرد عليَّ بطريقة مستفزة: «لقد كبرنا يا امرأة... بناتكِ على وشك الزواج وأنتِ تبحثين عن الحب والهيام».

مطت نجاة شفتيها وقالت:

- الحل الوحيد لمشكلتك زواج سلمى وهناء؛ لأنهما هما من يأخذان عقله، فهن فتاتان صغيرتان يعرفن بطريقتهن العفوية سلب لب أبيهن، وهذا سيكون عائقًا دائمًا في الاهتمام بكِ.

نظرت لها بحيرة بعد جملتها هذه وقلت:

- زواج هناء لن يكون صعبًا بسبب ما تتمتع به من صفات المشكلة بسلمى التي لا أحد يلتفت لها كونها فتاة أقل مَن عادية بنظر الرجال ولا يوجد بها ما يجذبهم.

صفنت نجاة قليلًا وقالت:

- سلمى أو هناء سيتقدم لهما عرسان بأسرع وقت ممكن حال أنك نفذت ما سأقترحه عليكِ.

عقدت حاجبيّ بغرابة وقلت:

- ولماذا تعتقدين أنني لن أنفذ ما تريدين.

أجابتني بوجه متحمس وقالت:

- لأننا سنتجاوز بعض الحدود، ونتعامل بأشياء من الممكن أن تكون بنظرك غير جيدة، لدي شخص يقرب القلوب المتباعدة، ويزوج العانسات ويقضي على البائرات.

سكت قليلًا والحيرة تملأني ثم قلت:

- هل تقصدين أننا سنتعامل بالسحر لتسهيل أمور البنات؟

هزت رأسها وأجابتني:

- كما تقولين سنتعامل مع شخص متخصص بمثل هذه الأشياء، ولا ضير لو أننا تمردنا قليلًا في سبيل مصلحتنا، وكما ترين لا نريد إيذاء أحد.

هذه كانت البداية، يا سلمى

28

- هل وافقتِ على طلبها يا أمي؟

هذا ما قلته لها والدهشة لم تفارقني بسبب سذاجتها المستفزة.

أجابتني بندم:

- نعم وافقتها بحجة أن ما نقوم به مجرد عمل نسعى وراءه للخير كي تتزوجا، وتتركا البيت بالكامل لي مع أبيكما، وأخيكما بسّام بالأخير هو مجرد ولد.

ذهبنا لذلك الرجل الذي تحدثت عنه، وطلب منا بعض الأشياء، كصور وملابس تخصك أنتِ وأختكِ.

قلت هنا لوالدتي مستسفرة:

- لماذا أدخلتي هناء بهذا الموضوع، المشكلة كانت متمثلة بي؟

أجابتني:

- بالفعل كما تقولين، نجاة أقنعتني بأن ما سنفعله سيسرع عملية تزويجها وعدم معارضة والدكِ لأى رجل يتقدم لخطبتها، بينما أنتِ نريدكِ أن تصبحي جميلة وجذابة بعيون الرجال ليتسهل

أمر زواجك، كما أنه طلب منا إحضار تربة من منزل قديم.

فتحت عيني على آخرها من المفاجأة، هل ما أفكر به صحيحًا؟ باغتها بسؤالي قائلة:

- هل البيت الذي أخذت منه التراب يقع في منطقة خيطان وهو ذو بنيان قديم نسبيًّا؟

قالت والدتي:

- بالفعل هو كذلك؛ بيت ذو أبواب خشبية وسور رمادي اللون بيت عملاق ومهيب ذو شبابيك متعددة، وباب أسود خارجي كبير.

وضعت يدي على رأسي من هول المصيبة وقلت:

- ماذا حدث بعد ذلك؟

أجابتني وقالت:

- في البداية وبالتحديد بعد شهر لم تجد على حياتنا أية تغيرات أو حتى تقدم بعد ما فعلناه كلهَ، وظننت أن ذلك الشخص ما هو إلا مجرد دجال، رغم أنني كنت متخوفة من كل ما فعلته مضى شهران تقريبًا وبدأت التغيرات تطرأ على شقيقتك، لم أظن أو أشك للحظة أن كل هذه التقلبات التي حصلت لهناء بسبب ما فعلناه،

معتقدة أن تلك الأشياء مرتبطة فقط بتقريب الزواج ولم يكن الترهيب هو المراد.

كنت مندهشة لبرود أعصاب والدتي، وعدم قراءتها للواقع الذي كانت مغيبة عنه، فعلت أمرًا قضى بشكل كامل على العائلة بسبب جهلها، هنا صرخت بألم وقلت:

- كيف عرفتِ بعد ذلك أن ما قمتم به سببًا وراء فقدان هناء ووفاة أبي؟

قالت لي بعينين حزينتين:

- القارورتان، وبالتحديد اللتان جمعنا بهما التراب، لم تستطع نجاة التفريق بينهما بسبب التشابه الكبير بهما، وهناك خطوات قامت بعكسها فأصبح العمل كله متوجهًا لهناء، التي ابتلعت الطعم كله وعلى ما أعتقد أن نجاة كانت تعلم بهذا الخطأ.

قلت بغضب شديد:

- ما الذي فعلتهِ يا أمي؟ لماذا سلمت رقبتنا لتلك الخبيثة؟ لقد دمرتنا.

وبحالة يأس ودموع مغرورقة قالت أمي:

- كنت بزيارة لها تلك الليلة، وكنا جالستان في صالة منزلهم، هنا سمعنا نغم أغنية قادم من غرفة نجاة، أعتقد أن بدايتها كلمة مسحور لعبدالله الرويشد انتبهت لوجه نجاة وهي تقول:

- لن يتركوني... الشياطين تسلطت عليَّ بفعل تلك القارورة.

قلت مستفسرة:

- عن أية قارورة تتكلمين؟ منذ متى وأنت تسمعين الأغاني؟

قالت وهي تحاول النهوض والفزع يتساقط من وجهها:

- لا أملك أداة تسجيل ولا أي شريط كاسيت ولا أعرف هذا المغني، هذه الأغنية تصدح من غرفتي قبيل المغرب بفترة بسيرة ويستمر لمشارف الفجر، يبدو أننا عبثنا بأشياء تفوق قدراتنا كلها، لا أريد أن أصبح مثل ابنتك هناء.

انتبهت لجملتها تلك وقلت بقلق:

- أتقصدين أن كل ما يجري لهناء سببه ذلك السحر الذي عقدناه بحجة تزوجيهما؟

كانت تنظر لي بتوتر ولم تجب على سؤالي، وبالوقت نفسه كنت لست بحاجة لسماع أية إجابة؛ لأنني تأكدت منذ هذه اللحظة أنني جلبت لعائلتي الهلاك، ولا أريد معرفة هذه الحقيقة، لم أتجرأ وأخبركم به، كنت أتوقع أن الأمور ستنتهي بشفائها.

بمجرد انتهائها من تلك الجملة، شعرت أن أحدهم همس بأذني قائلًا:

- بعدما عرف والدكِ من العضب سبب وفاة ابنته، مات مهمومًا متحسرًا لما اقترفته يدا والدتك.

صرخت بعلو حسي:

- جلبتي لنا الدمار يا أمي الآن عرفت أن والدي مات كونه علم من الشيخ الذي أخبره بكامل الحقيقة بأنك السبب وراء مرض ابنته، لم يستطع أن يفضحك ومات بهمه وحسرته.

لم أجد أية إجابة من والدتي التي كانت فقط تبكي ألمًا وندمًا بينما شعرت بذلك التخدر الذي يحصل لأي شخص بسبب كثرة الضربات فلا يشعر بها النوائب تتوالى على رأسي كالمطر المنهمر وبهذه الأثناء طرق الباب وخرجت محاولة التظاهر بالثبات لأجد شرطيًا

يقف خلف الباب طالبًا مني السماح لهم بالدخول للقبض على والدتي بتهمة الاعتداء على جارتنا نجاة.

أدرجت برأسي صفة اللا مبالاة، كوني أريد طرد الذكريات السيئة كلها من رأسي والعودة للواقع، أريد أن أرى هناء وهي تجلس بجانبي وابتسامتها تملأ المنزل، أريد أن أجلس بكل احترام؛ لأن والدي الآن حاضر معنا، فقدت الأشياء الجميلة كلها، وحقدت الحقد كله على والدتي بسبب أفعالها غير المسؤولة، وأفسحت المجال لرجال الأمن ليتموا عملهم بالقبض على والدتي القاتلة.

29

كان جو المنزل بتلك الليلة خانقًا لا يُطاق، بعد ساعات من معرفة الحقيقة، كنت وقتها أسمع جرس الباب يدق، نظرت من النافذة كانت سيارات الأمن تملأ الشارع، وقتها لم أكلف نفسي بالخروج، اللامبالاة فن لا يتقنه إلا الخائبين وأنا أحدهم، المشهد الذي حرك القليل من مشاعري عندما سمعت أخي بسّام وهو يصبح بأعلى صوته مناديًا على أمي وهو يبكي بهستريا، ويطلب مني إيقافهم كون الشرطة القت القبض على والدتي، بالفعل كنت أراها وهم يضعونها في مركبة الشرطة مقيدة اليدين، ولم تعلم أنتي غرست السكينة بشدة بصدر نجاة ومن دون أن يشعر أحد، طعنتي كانت نافذة وقاتلة بالوقت نفسه، كنت أعلم علم اليقين بأنني انتقمت منهما بطريقتي الخاصة.

نعم يا صديقي العزيز أنا من قتلت العجوز البائسة، وألصقت التهمة بوالدتي التي خانت مبادئ الأمومة بسحرها لابنتها بسبب أعذار واهية بعيدة البعد كله عن العقل والمنطق.

أعلم منذ البداية بما اقترفاه من أعمال شنيعة بحقنا، راح ضحيتها والدي الحبيب وأختي الزهرة اليافعة،

بعد أن وافت هناء المنية وبالتحديد بعد انقضاء أيام العزاء، كنت متجهة إلى غرفة والدتي حاملة بيدي بعض الطعام لتغذيتها فهي بالكاد تشرب الماء، ولم أطق أن أتحمل خسارتها هي الأخرى، وبالمصادفة كان باب حجرتها مواربًا لأسمعها تتكلم عبر الهاتف مع جارتنا نجاة، وهي تهددها وتتوعدها بأنها هي السبب وراء خسارتها لزوجها وابنتها، سمعت جملة منها شلت كياني كله وهي تقول:

- السحر الذي قمنا بفعله لتسريع عملية تزويج بناتي لم ننال منه سوى الكرب والحسرة، لقد أقنعتنى بحيلك الشيطانية بأن تلك الأفعال لن تكن محرمة طالما نريد من ورائها الخير، كم كنت غبية حين وثقت بكِ واتبعت خططك ولم يكن لي كلمة بعد كلمتك.

هنا اتخذتُ قرارًا لم أتراجع عنه، بأنني سأنتقم من كلِّ من قام بأذيتنا وكان سببًا لفقدي شخصين من أعز الناس لديَّ، ويشاء القدر أن يسهل لي عملية الاقتصاص تلك عندما قصدت والدتي دار نجاة بغية التهجم عليها، هنا رأيت أن الفرصة أتتني على طبق من ذهب، وسأصطاد العصفورين بالحجر نفسه، وذلك حينما لمحت والدتي تدس سكين المطبخ

الكبيرة تحت عباءتها، من هذه اللحظة علمت بأنني على موعد مع تحقيق انتقامي، وبالفعل قمت بذلك بعد أن سقطت والدتي على الجارة انتهزت فرصة المعركة وأخذت السكين من يد أمي وأنا أمثل عليهم بأنني أحاول فض هذا النزاع لأقترب من نجاة الممدة على الأرض وأغرس السكين بصدرها وأنا أهمس بأذنها «هذا جزاء الخبث»، ثم رميت عليها عباءة والدتي وخرجنا من منزلهم.

بالطبع ستتساءل لماذا لم أترك أمر قتلها لأمي؟ إجابتي لك ستكون بأنني قطعت عهدًا على نفسي بأنني أنا من سأجتث حق عائلتي من هاتين المجرمتين.

وبعد أن تأكدت أن الهدوء حلَّ ضيفًا غير مقبول بمنزلنا، انتهزت الفرصة وخرجت، متوجهة إلى أقرب محطة بنزين، وملأت جردلًا كبيرًا منه، أعتقد أنك تظن بأنني أنوي الانتحار، لكن لا الحكاية لن تنتهي عند هذا الحد يا عزيزي، توجهت مسرعة نحو ذلك المنزل الملعون، كان صامتًا ومتشفيًا بقدومي أرى بعينيه لمعان الانتصار، وقلبي هذه المرة كان جامدًا لا يأبه بشيء.

فتحت أبوابه القديمة المهترئة، هذه المرة لم أكن مترددة ولم يرف لي جفن، وبمجرد صعودي للدور الأول، سمعت تلك الجملة التي تكررت معي طوال فترتي الماضية، ومنذ مرض هناء أغنية مسحووووور... مسحووووور... وشد و عبدالله رويشد الذي غمر المكان.

هنا تأكدت بما لا يدعو للشك بأن الجن الذين يسكنون الدار اللعينة يعشقون هذه الأغنية التي باتت ترن بأذني، لم أكترث لهم وانطلقت أرش غرف المنزل بالوقد الذي جلبته معي، لم أترك أية غرفة إلا وملأتها بها، كنت وقتها أسمع أبواب الغرف وهي تتضارب مع صريرها المزعج، إلى أن وصلت لتلك الحجرة التي كانت مسرحًا لسلب روح شقيقتي، لأدخلها وأجد مكتوبًا على حيطانها، أوله الألم... ووسطه السقم... وآخره العدم.

ظنوا أنهم بأفعالهم تلك سيرهبونني، أكملت ما جئت من أجله، أخرجت عود الثقاب من جيبي وأشعلته ثم رميته على الوقود المنتشر لتستعر النيران التي أكلت كل ما هو أمامها، خرجت بهدوء ولم ألتفت خلفي، لأنني أدركت أن كل الذين ينظرون خلفهم لا يستطيعون التقدم إلى الأمام، بينما نغم أغنية

مسحور يصدح بالمكان، بعد أن خرجت نظرت لأعين المنزل التي كانت شامتة. أول وصولي، والنار تلتهمه بنهم الآن، أطلقت ضحكة مقهقهة عالية فرحًا بمصير كل من تعسف في أذية عائلتي، لربما كان هذا الانتصار ما هو إلا حبيس مخيلتي لكنني سعيدة به.

هذه قصتي يا صديقي العزيز، أكتب لكَ مذكراتي على أنغام أغنية مسحور من مستشفى الطب النفسي.

صديقتك سلمى..

كانت هذه حكاية سلمى والسقم الذي أصابها بعد خيانة أقرب الناس لها.

إلى أن نلتقي بكم بفضفضة غريبة أخرى.

تمَّت

الخاتمة:

عندما تُصلّي من أجل أن يرزقكَ الله قلبًا محبًّا..
عليكَ أولًا أن تتعلم كيف تتعامل مع الخيبات...
فالمحبّون سيتغيرون في يوم من الأيام.... واعلم أن القلوب لا تقع على أشكالها ... والمواقف ستُثبت لكَ ذلك... كلنا جرحى حرب هذه الحياة... منّا مَن يبحث عن انتقامه ... ومنّا مَن سيكتفي بعزلته متأملًا سقف غرفته... متحسرًا على ندبات الماضي التي ملأت فؤاده.

الحياة ستُجبرك على أن تكون شخصًا آخر لا تعرفه.